زهـراء علـي

رواية

الورد والعُلّيق

المؤسسة للنشر والتوزيع

كيف تجرؤ على انتزاع قلبي من مكانه وتقف هكذا مكتوف الأيدي في المنتصف ما بين الحب واللاحب، تستنزف الفرص ويُستهلك الحب حتى يفنى؟!

زهراء علي.

الإهداء

إلى المنغمسين في أحزانهم، المنخنقة صدورهم ومع ذلك يُفضِّلون الصمت، مَن يرفضون الحُب خشية الفراق، مَنْ يشعرون بالوحدة رغم مئات الأصدقاء والمعارف.

أُهدي إليكم كتابي هذا.

زهراء علي.

اليوم هو آخر يوم في العام الدراسي، وكما هو معتاد تخرج روز مع صديقاتها لقضاء يوم ممتع حافل بالبهجة والذكريات، التي تُدَوَّن في قلوبهم قبل عقولهم.

مي: روز، هيَّا بنا.

روز: انتظري، أود إخبارك بشيء أولًا.

مي: ما خطبكِ؟

روز: ثمة ألم شديد هنا.

مي: تقصدين قلبكِ؟!

روز: نعم، إنه يؤلمني كما لو طعنه أحدهم بخنجر حاد.

مي: لقد أثار هذا قلقي؛ فلنذهب إلى الطبيب.

روز: لا، فلا داعي لهذا.

مي: هل تكرر لكِ هذا من قبل؟

روز: لا أدري، فهذه هي المرة الأولى التي يحدث لي فيها هكذا، لكنكِ تعلمين أن الأمور ازدادت سوءًا بعد وفاة أمي.

مي: أعلم، لكن هل تزالين وحدكِ في المنزل؟

روز: نعم، أنتظر وصول أخي، حتمًا سيصل في الأيام المقبلة.

مي: حسنًا، سأوصلكِ إلى المنزل، ولا يشترط الخروج اليوم.

روز: لا، هيَّا بنا.

مي: روز، أنتِ مريضة، وأنا أخشى أن تزداد الأمور سوءًا.

روز: لا، أنا أفْضَل حالًا الآن.

مي: لا، سأقودكِ للبيت.

روز: تعلمين أنني لا أريد العودة، ماذا سأفعل أخبريني؟ لا شيء، سأجلس وحدي أتأمل سقف بيتنا المزخرف بالجبس، أو أشاهد بعضًا من الأفلام القديمة التي تنتهي بزواج البطل من محبوبته، لا، فلقد سئمت.

مي: فلتأتي معي إلى منزلي.

روز: ونترك صديقاتنا بعدما وعدناهن بالخروج اليوم؟ ونعود مجددًا لجلسات من العتاب واللوم !

مي: سأخبرهن أنكِ مريضة.

روز: ويحزنّ؟

مي: إلى متى سيظل همكِ الأكبر هو إرضاءهن؟ أنتِ تعلمين أنني أحبكِ كأخت لم تلدها أمي؛ لذا عليكِ أن تستمعي إلي و تعتني بنفسكِ أولًا، كيف سيكون حالكِ إن خذلكِ هؤلاء كغيرهن؟ كفاكِ واعتنِ بنفسكِ.

روز: لا بأس، فالحياة تجارب، وها أنا قد تلقيت منها دروسًا عِدة خاصةً خذلان الأصدقاء، أو مَن أطلقنا عليهم هذا الاسم ولم يكونوا أهلًا له، لكن هذه المرة أنا أريد الذهاب لقضاء يوم ممتع وستأتين معي، هيَّا بنا.

مي: في كل مرة تُصرّين على رأيكِ هكذا ولا تستمعين إليَّ أبدًا.

روز: لا علاقة لهذا بحبي لكِ، يكفي أنكِ دومًا هنا بجانبي؛ لذا أخبرتكِ أنتِ دونًا عنهم.

مي: أعلم عزيزتي، لذا سآتي معكِ اليوم، لكن شرطي الوحيد -إن تحسنت حالتكِ- أن تأتي معي غدًا أنا و"آدم" وأخي "بدر"؛ لشراء بعض الأشياء وتناول الطعام خارجًا، سيكون يومًا جميلًا كافيًا لإدخال بعض البهجة على قلبكِ.

روز: دعيني أُفكِّر.

مي: ستأتين، لا مفر.

رنا: "روز"،" مي"، هيَّا بنا.

مي: سنكمل حديثنا لاحقًا، ولن تهربي.

روز: هيَّا اصمتي، كفاكِ هزيًا.

أثناء تلك النزهة بينما الجميع يلتقط الكثير من الصور كعادتهم ويستمتعون بيومهم؛ إذ شعرت "روز" بألم شديد في ذاك العضو المائل قليلًا جهة اليسار من الصدر حتى كادت تشعر بنبضاته بصعوبة، لكنها كعادتها تجاهلت ما حدث، ولم تلتفت فلم يشعر بها أحد.

رنا: "روز"، هل أنتِ بخير؟

روز: نعم بخير، هل هنالك خطب ما؟

رنا: لا فقط، رأيتكِ تجلسين منفردة؛ فأردت أن أطمئن عليكِ.

قالت روز -حتى لا تشعر رنا بتعبها-: أنا بخير، هيَّا بنا، ما رأيكِ أن نتناول بعضًا من البطاطا أو الذرة المقلية.

رنا: بالطبع، أوافق.

روز: حسنًا، سأبحث عن "مي" وأنتِ أخبري الرفاق ولنتناولها معًا.

وبعد انتهاء اليوم عاد كل منهن إلى منزله وهن يذكرن أحداث اليوم الرائع، ويتهافتن على قضاء يوم آخر كهذا إلَّا أن روز كان لديها رأي آخر.

مي: أخبريني، كيف حالكِ الآن؟ مؤكد أنكِ وصلتِ المنزل.

روز: أنا بخير، اطمئني.

مي: ما هذا الصوت بجانبكِ؟

روز: أي صوت، تقصدين التلفاز؟

مي: أعلم أنه ليس صوت التلفاز، هل ما زلتِ في الخارج؟

روز: نعم، فلا أريد العودة، لقد أصبح البيت كئيبًا للغاية.

مي: لمَ لا تأتين إلى منزلي حتى يصل أخوكِ؟

روز: لم أعتَد على المبيت بالخارج من قبل.

مي: لكنه كمنزلكِ، لن أدعكِ تشعرين بغير هذا.

روز بصوت يختنق: تدركين جيدًا كم هو شاق على المرء منا أن يشعر بأنه ثقيل على قلب أحد خاصةً إن كان شعوره زائدًا كفتاةٍ مثلي.

مي: لكننا صديقتين مقربتين، والله يعلم أنني أحبكِ أكثر من أختي.

روز: وإنكِ لتعلمين أن كرامتي هي ما تقودني في مثل هذه الأمور، وأنها لا علاقة لها بالحب، فالكرامة عندي فوق الحب؛ لذا لا تحزني رجاءً.

مي: لا بأس، فأنا أشعر بكِ، أخبريني إذًا ما رأيكِ في الذهاب معنًا غدًا؛ لشراء فستان خِطبتي؟

روز: مبارك يا عزيزتي، حسنًا، سآتي معكِ.

مي: بارك الله لي فيكِ، ورزقَكِ بمَن يستحق ذاك القلب البلوري.

روز: سأقود إلى المنزل الآن، سأحدِّثكِ لاحقًا.

مي: سأنتظر مكالمتكِ؛ لأطمئن عليكِ.

روز: حسنًا، إلى اللقاء.

عادت "روز" إلى المنزل، وأعدَّت طعامها المفضَّل أملًا منها أن تتحسن حالتها، فتلك هي الليلة الثانية التي تمر على معدتها المسكينة دون أن تعمل بشكل طبيعي، فهي لم تأكل منذ يومين سوى البطاطا المقلية تلك مع صديقاتها، ولولا "مي" وصديقاتها لما أكلت شيئًا قط.

تناولت كسرَتي خبز ولم تكمل طعامها، فعلمت أنه لا فائدة من جلوسها غير المُجدِي على مائدة الطعام، قامت تدعو الله أن يُصلِح حالها ويُضَمِّد جُرح قلبها، أخذت تقرأ حتى غلبها النعاس؛ فنامت.

وفي الصباح أيقظتها مكالمة "مي".

مي بصوت مبتهج: صباح الخير يا حبيبتي.

أجابتها روز بهدوء: صباح الخير يا مي، كيف حالكِ؟

مي: بخير، أخبريني كيف حالكِ أنتِ؟ انتظرت منكِ محادثتي بالأمس.

روز: اعذريني، لقد نسيت.

مي: لا بأس، آمُل أن تكوني بخير.

روز: لا بأس بحالي، فأنا أفضل من البارحة.

مي: إذًا هيَّا ارتدي ملابسكِ، وسنأتي لاصطحابكِ معنا.

روز: أمهليني ساعةً واحدة، وسأكون مستعدة.

مي: إلى لقاءٍ قريب.

روز بطبيعتها تحب التألق، تهوى الأزياء وتنسيق الملابس، تحب البنفسجي، فهو يعطي لها طَلَّةً مميزة، لكن كل شيء تغيَّر تمامًا، أصبحت ترتدي فستانها الأسود وغطاء رأسها الذي لا يقل سوادًا عن فستانها، ربما هذا ما يُطلقون عليه الانطفاء بعد التوهج!

أخذت ترتدي ثيابها السوداء التي اعتادت عليها مؤخرًا، وتناولت بعض الطعام وكوب من الشاي الساخن، وقاطعتها مكالمةً هاتفيةً من مي تتعجلها.

مي: هل انتهيتِ؟

روز: نعم، أنا في انتظاركِ.

مي: ونحن على وشك القدوم إليكِ.

روز: هل من الممكن أن أجلب بعضًا من النقود وأشتري فستانًا أسود؛ كي أرتديه في يوم الحفل الخاص بكِ.

مي: لا بأس، سنشتري كل ما نريد ثم نتناول بعض الطعام؛ حيث سيجلبه لنا أخي، وبعدها نعود للمنزل.

روز: اعذريني؛ فأنا لا أريد تناول الطعام، يكفيني الشراء.

مي: كيف يحدث هذا؟ ربما يحل علينا الليل أثناء الشراء، فكيف نصمد كل هذا الوقت دون تناول الطعام؟

روز: لا أريد أن أُكلفكِ.

مي: ألَا يمكنكِ الكف عن هذا الشعور السخيف؟ توقفي عن الشعور بأنكِ عبء على الجميع، وأنه من الأفضل أن تكوني وحيدةً هكذا؛ كي لا تشعري بأنكِ ثقيلة عليهم، ليست كل الأمور تجري هكذا يا عزيزتي، فهناك مَن يحبكِ بصدق ويرغب فيكِ حتى لو كنتِ تِلالًا من الأحزان تسير على الأرض، ثم إنني قد أخبرتكِ مرارًا بأنكِ أخت لم تلدها أمي، فكفاكِ هزيًا.

روز: حسنًا، أعتذر منكِ، فهذا الشعور يحيط بي حتى كدت أختنق من فرط التفكير فيه.

مي: لا عليكِ، لا داعيَ للاعتذار.. هيَّا؛ فلقد وصلنا.

روز: حسنًا، سأنزل الدَرَج حالًا.

مي: أنا أقف أمام المنزل بجوار السيارة في انتظاركِ.

روز: حسنًا، إلى اللقاء.

اصطحبت روز حقيبتها وبها بعض النقود؛ لشراء فستانها، وهمَّت بالنزول إلى أسفل لمرافقة "مي" وأثناء نزولها شعرت بدوار شديد مع تكرار ذاك الألم العتيق عند موضع قلبها، وهنا بدأ القلق يسري بدوره إلى عقلها؛ لكنها قررت ألَّا تخبر أحدًا هذه المرة، ومضت تُكمل نزول الدَرَج حتى رأتها "مي".

مي: مرحبًا بصديقتي ذات المشاعر المرهفة.

روز: إذًا أفهم من هذا أنك حزينة مني؟

مي: لا، فقط أردت أن أثير جدلكِ.

روز: ما رأيكِ أن نتحرك الآن؛ كي لا نتأخر؟

مي: لأُعرِّفكِ أولًا، هذا "آدم"، أعتقد أنني أخبرتكِ عنه سابقًا ما يكفي.

روز: نعم، إنها تحبك كثيرًا.

مي: توقفي عن إحراجي.

روز: هي فقط تُظهر أنها خجولة أمامك بعض الشيء، فلا تصدِّقها.

مي: هيَّا اصعدي السيارة واصمتي.

بدر متخللًا الحديث: وماذا عني؟

مي: أه، لقد جعَلْتِني أنسى أن أُعرِّفكِ على أخي.

روز: أهلًا، تشرفتُ بحضرتك.

بدر: بدر، اسمي هو "بدر".

روز: حسنًا، وأنا روز، سعِدتُ بلقائك.

مي: ألن نتحرك يا "بدر"؟

بدر: حسنًا، الآن نعم سنتحرك.

منذ تحركت السيارة والجميع يتحدث ويضحك إلَّا روز، اكتفت بالنظر من النافذة على الطريق بجوارها صامتةً دون حتى أن تلقي بالًا بحديثهم، حتى أنها لم تستمع لنداءات مي المتكررة لها..

مي: روز ما بكِ؟ هل أنتِ بخير؟

روز: هل تناديني؟

مي: نعم، ألم تسمعي كل هذا؟

روز: آسفة، فقط شردتُ قليلًا، هل هنالك خطبٌ ما؟

مي: أردت فقط إخبارك أن الجميع يُبدي إعجابه بكِ خاصةً أخي.

روز: شكرًا، هذا فقط من ذوقهم الرفيع.

قالتها بكل هدوء كعادتها، فهي لا تجيد الكلام المعسول المنمَّق، كما لا تجيد المجاملة أو إبداء إعجابها بأحد إلَّا أن صنفًا معينًا من الفتيات لو أبدى شخص

مثل بدر الإعجاب بهن لجلسن يتغزلن في حُسنه وجماله، وكيف يبدو كشاب وسيم؟ ولماذا لم يسبق له الارتباط وهو في منتصف عقده الثاني؟

مي: لا تحزن يا "بدر"، فهكذا هي " روز"، لا تجيد الحب مطلقًا.

تلك الكلمة ارتطمت بقلب روز كما لو ألقى أحدهم عليه قذيفةً ناريةً حتى تطاير كهباءٍ منثورٍ لا يمكن جَمعُه مرة أخرى؛ لكنها صمتت حتى لا تنزرف منها دموعها دون أن تدري، فلا داعي أن تكون تلك هي القشة التي قسمت ظهر البعير، فعادت لصمتها مرة أخرى، وأكملت الطريق دون حتى أن تتفوه ولو بكلمة واحدة.

مي: لقد وصلنا، ها هو ذاك.

بدر: سأضع السيارة في المرأب وألحق بكم.

آدم: انتظر، سآتي معك ولنلحق بهما، فأنت لا تعرف الطريق.

بدر: لا عليك، يمكنني الاتصال بك لمقابلتي حين أنتهي.

آدم: لا، سآتي معك ونتركهما لاختيار ما تُريدان حتى نصل.

مي: حسنًا، لكن إياكم والتأخُّر علينا.

آدم: لن نتأخر عزيزتي.

مي: حسنًا، هيَّا بنا يا "روز".

روز: حسنًا، أنا آتية.

لكن روز من غفلتها قد نسيت حقيبة يدها وبها نقودها في السيارة، فقط هاتفها هو ما كانت تمسكه بيدها، ونزلت كي تلحق بـ"مي".

مي: "روز"، ما رأيكِ في هذا اللون، هل سيناسبني؟

روز: إنه جميل حقًّا؛ لكن أنا أُرجِّح اللون الآخَر مع غطاء رأس ذهبيّ، سيكون رائعًا ومناسبًا لكِ.

مي: حسنًا، سأجرب اللونين حتى يأتي "بدر" و "آدم".

بينما كانت "مي" تُجرب الملابس الخاصة بها، مضت "روز" تشاهد التصاميم الجديدة وتختار فستانها الأسود الخاص الذي تود الذهاب به، فوجدت نفسها تقف مأسورةً أمام جمال أحد الفساتين السوداء المطرز بالأسود اللامع، فرأت أنه سيناسبها كثيرًا، فَهَمَّت تطلب من البائعة أن تجلب لها واحدًا يناسب مقاسها.

أخذته وذهبت لتختبره، فوجدت "مي" قد انتهت، وخرجت مرتديةً فستانها وقد بدا في غاية الروعة، وهنا وجدت نفسها تُبدي إعجابها الشديد بـ"مي"، وقد بدا قوامها ممشوقًا كعارضات الأزياء حتى كادت تشك أنه قد صُنع خِصيصًى لها من شدة جمالها وهي ترتديه.

مي: هل هو جميل حقًّا؟

روز: أتمزحين؟! إنه في غاية الجمال، تبدين كنجمة سرمدية في غاية توهجها، كبلورة ما لبثت أن خرجت من محارتها حتى صُنِع منها تاجًا لإحدى ملكات الجمال.

مي: "روز"، ما كل هذا الكلام الرائع؟!

روز: ليس بكثير أمام جمالكِ يا عزيزتي.

مي: هل سيُعجَب "آدم" بهذا؟

روز: مما لا شَك فيه.

مي: أودُّ حقًّا رؤية ردة فعله حين يراني.

روز: سيُذهَل كما أصابني الذهول بسبب جمالكِ.

مي: آمُل أن يأتي اليوم الذي أراكِ فيه مرتديةً فستانكِ الخاص.

روز: بإذن الله يا عزيزتي، سأُجَرِّب أنا هذا وأخرج إليكِ.

مي: حسنًا، أنتظركِ بلهفة.

دخلت "روز" لتجربته، وحين انتهت وجدته رائعًا حقًّا هو الآخر، وكأنه قد صُنِع خصيصًا لها، فخرجت به وهنا ذُهِلت "مي" من جماله.

مي: ما هذا الجمال؟ كيف لكِ أن تبدين كالأميرات هكذا؟

روز: هل أعجبكِ؟

مي: هل هذا سؤال، إنه جميل جدًّا.

روز: حسنًا، سأشتريه.

مي: اختيار موفَّق.

روز: سأُبدل ملابسي وآتي.

مي: هل سأقف هكذا كثيرًا؟

روز: لقد تأخرا كثيرًا حقًّا، وهذا أمر مُقلِق، فلتحادثي أحدهم إلى أن أنتهي وأخرج إليكِ.

مي: هذا ما سأفعله الآن.

خرجت "روز" بعد وقت قصير؛ لكنها وجدت "مي" ما زالت تقف بمفردها، فسألتها متعجبة: ألم يأتِ أحد منهم بعد؟

مي: لا، وقد قلقت كثيرًا بشأنهما.

روز: سأدفع أنا ثمن الفستان خاصتي، ولن أتأخر.

وهنا فقط لاحظت "روز" اختفاء حقيبة يدها، فوضعت يدها على فمها من الصدمة، وبدأ عقلها بالدوار هنا وهناك محاولةً أن تتذكر أين تركتها موجهة سؤالها ل "مي" كذلك.

مي: اهدئي سنجدها.

بعد قليل ظهر "آدم" و "بدر" من بعيد ومعهما الحقيبة، فبدأت "روز" بالهدوء والتقاط أنفاسها.

بدر: تفضلي، لقد وجدتها في مقعدكِ بينما كنت أُوصِدُ الباب الخلفي.

روز: شكرًا لكَ، لقد قلقت كثيرًا بشأنها.

آدم متخللًا الحديث: لكن أين "مي"؟

مي: ألَا تراني إذًا؟!

آدم: مَن هذه؟

روز: ماذا بكَ؟ إنها "مي"!

آدم: إنها أجمل بكثير مما تخيلت.

مي: حقًّا؟

آدم: أجل.

مي: هذا هو اختيار "روز"، كان هناك لون آخر، لكنها فضَّلَتْ لي هذا.

روز: لقد نسيت، كيف كان الآخر إذًا؟

مي: كان جيدًا، لكنه لم يكن ليُعجبكم كهذا.

بدر: إنه لذوق رفيع حقًّا.

مي: هكذا "روز"، دائمًا ما كانت ملكة الأزياء، لا يغرك هذا اللون الأسود.

بدر: حتى الأسود يبدو رائعًا، ألَا يُقال أن الأسود هو سيد الألوان؟

روز بخجل: هذا لطفٌ منك.

مي: منذُ متى وأنتَ تحب الأسود؟ ألم تكن ترى أنه لون سيء يدل على الحزن دومًا؟

بدر: رُبما لم أكن أعلم أنه لون سَعدي.

آدم (مُغيرًا مجرى الحديث حين رأى أن "روز" قد تغيَّر لونها من شدة الخجل، كما لو أن أحدهم وضعها في صبغة شديدة الحُمرة): لكن لَم يسألنا أحدكم لِمَ كل هذا التأخير؟

مي (كما لو أن أحدهم ضربها على رأسها حتى أفاقت): نعم، أين كنتما؟ لقد تأخرتما كثيرًا.

آدم: أخبرني "بدر" بأنه لا بُد من تأكيد حجز المطعم؛ حتى نتمكن من الجلوس على طاولتنا الخاصة، فذهبنا سريعًا إلى هناك.

مي: آمل أن يكون الأكل شهيًّا بعد كل هذا التأخير.

بدر موجهًا نظراته إلى "روز": ألَا تثقين في ذوق أخيكِ؟ وكم ينجح في إبهاركِ كل مرة؟

مي: فهمت، أظن أن هذه هي أفضل مرة ينجح فيها أخي حقًّا في إبهاري باختياره.

آدم: حسنًا، سأذهب لأدفع ثمن هذه الملابس، فلم أعد أفهم موضع حواركم هذا، ولنرحل، فإنني أتدور جوعًا.

روز: أنا أيضًا سآتي معك، فلقد اشتريت هذا أيضًا.

بدر: انتظري أنتِ مع "مي" هنا، وسأذهب أنا معه.

روز وقد همَّت بالسير: لا داعيَ لهذا، سأذهب أنا.

بدر: حسنًا، إذًا سأُحضر السيارة وأنتظركم بالخارج.

بعد أن انتهى الجميع من عمليات الشراء همُّوا بالخروج، وهنا وجدوا "بدر" ينتظرهم داخل السيارة، وبعدها تحركوا إلى المطعم لتناول الطعام.. كان الجو هادئًا بما يكفي مناسبًا لـ "آدم" و"مي"، ورغم أنه كان مُحفزًا لاعتراف "بدر" بإعجابه بـ "روز" وقضاء يوم لطيف، لكنه رفض تلك الطريقة، خاصةً أن "مي" قد صَرَّحَتْ له أن "روز" تخشى الحب كثيرًا، بالإضافة لرفضها الشديد لتلك الطريقة العشوائية

للتعبير عن الحب، فهي تبحث عن حب نقي صادق ينتزعها من حزنها المُسيطر على أيامها إثر وفاة أمها، فقرر أن ينتظر وقتًا أنسب، فربما لا يكون هذا سوى مجرد إعجاب وليس حبًا، أمَّا بالنسبة لـ "روز" فلقد كانت تأكل في صمت كما يأكل عُصفور صغير حتى لاحظ الجميع أنها لم تتناول سوى القليل من الطعام، فكان لا بُد لـ "مي" أن تتدخل.

مي: ما هذا؟ ألستِ جائعة؟

بدر متدخلًا: أو أن الطعام لم يعجبها!

روز: لا، إنه لذيذ حقًّا؛ لكن هذا يكفيني.

مي: كيف تكفيكِ تلك اللُّقَيمات الصغيرة؟

روز: لا أعلم؛ لكنَّني أشعر بالشبع.

آدم: حسنًا، لا بأس، هنيئًا لكِ ما أكلتِ.

روز: لقد تأخرتُ، عليَّ الرحيل.

مي: انتظري، فليوصلكِ "بدر" إلى المنزل.

روز: لا عليه، سأعود بمفردي.

بدر متدخلًا مرة أخرى: لقد تأخر الوقت عليكِ، لا بأس سأوصلكِ.

مي: لا داعيَ للقلق، سأذهب معكِ.

روز بصوت بدأ يظهر عليه التعب: حسنًا.

وصلت "روز" إلى المنزل، وأخذت تفكر في تفاصيل اليوم الذي بدا وكأنه مميزًا بالنسبة لها، فلم تعتَدْ على الخروج منذ فترة ليست بقصيرة، وبينما كانت تتدفق الذكريات في خيالها إذ رأت طيف "بدر"، فسُرعان ما توقفت قائلةً لنفسها: "روز"، ماذا بكِ؟ ألم نعقد عهدًا بيننا على الحفاظ على هذا القلب حتى يأتي مَن نرتضيه دينًا وخلقًا ينتزعنا طالبًا البقاء برفقتنا مدى الحياة؟!

وبينما هي تحادث نفسها وصلتها مكالمة من صديقتها "رنا"..

رنا: "روز"، صديقتي، كيف حالكِ؟

روز: بخير، نحمد الله على خير كثير منهمرين فيه دون أن نشعر.

رنا: أردت أن أطمئن عليكِ وأسألكِ هل ستشترين هديةً لـ "مي" بمناسبة خِطبتها؟

روز: نعم، أردت ذلك؛ لكنَّني لم أختر الهدية بعد، ما رأيكِ أن نذهب معًا غدًا، ربما نجد شيئًا مناسبًا لها؟

رنا: أوافق.

روز: لنلتقِ غدًا في الرابعة، سأمرُّ عليكِ ونذهب سويًّا.

رنا: سأنتظركِ، إلى اللقاء.

عادت "روز" تستعيد ذكريات يومها دون شعور منها بالوقت وهو يمر، حتى دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وهنا ذهبت لفراشها وخلدت إلى النوم كأول ليلة تنام دون أدمعتها المنهمرة على خديها كل ليلة.

وفي اليوم التالي بعد تناولها الغداء تذكَّرت موعدها لشراء هدية لـ "مي" فهمَّتْ بالخروج وأجرَت مكالمةً لـ "رنا" لتخبرها بأنها في طريقها إليها، فأخبرتها بأنها مستعدة وفي انتظارها.

وعندما وصلتا إلى متجر الهدايا، قامت "روز" بشراء هدية قيِّمة وبسيطة، كانت "مي" أخبرتها بأنها تحب هذا النوع من الهدايا في إحدى جلساتهما معًا، بينما اشترت "رنا" لوحةً مزخرفةً قد لفتتْ انتباهها، عادت كل منهما إلى منزلها، وانتهى اليوم سريعًا حتى أن "روز" لم تنتبه بأن الساعة قد دقت العاشرة، وعليها النوم باكرًا؛ لأن "مي" أخبرتها بأن "بدر" سيذهب لإحضارها في الصباح؛ حتى تقوم بتزيين المنزل معها وتنظيم الحفل، فلديها ذوق خاص في هذه الأمور.

لم يكن الطريق لمنزل "مي" مُسليًا كثيرًا، فلقد كان الصمت هو الغالب، وظلَّت "روز" تنظر من نافذة السيارة ولم تلقِ بالًا لـ "بدر"؛ مما أثار ضيقه بعض الشيء، وعندما همَّا بالوصول.

بدر: لماذا أنتِ هكذا؟

روز: ماذا تقصد؟!

بدر: هكذا صامتة، تُفضِّلين الجلوس بجوار النافذة، هادئة أحيانًا إلَّا أنكِ على العكس تمامًا في قليل من الأوقات، تُحبين العزلة ومع ذلك ترفضين الجلوس وحيدة، وتبحثين دومًا عن جليس ولو سيظل صامتًا طوال جلسته معكِ، أنتِ مختلفة تمامًا، غامضة أحيانًا، أودُّ حقًّا لو أستطيع نزع الحزن من قلبكِ إلى الأبد، فأنتِ لا تستحقين سوى رسم البسمة على وجهكِ، فتتفتح الزهور ويضيء الكون وتشقشق العصافير معلنةً بدء الصباح في أيام الربيع الهادئة.

روز بغرابة: كيف كَوَّنتَ تلك الصورة عني ونحن لم نلتقِ سوى مرة واحدة؟ ولِمَ تبذل معي كل هذا الاهتمام؟

بدر: حقًّا لا أعلم، ربما من حديث أختي عنكِ، لكن فتاة مثلكِ لَتثيرُ فضول الكثير.

روز: ها أنتَ اعترفت بها.

بدر: ماذا تقصدين؟

روز: تثير فضول...ليس إلَّا.

بدر مسرعًا: لا، لمْ أقصد أبدًا، فقط قصدتُ بأنكِ جميلة جدًّا ومختلفة.

روز محاولةً إغلاق الحديث: فهمت.

بدر: ها قد وصلنا، تفضلي.

روز: شكرًا.

مي: اشتقت إليكِ، كيف حالكِ؟

روز: بخير، تفضلي.

مي: هذا لي.

روز: نعم، أخبريني برأيكِ.

مي: ما هذا؟! إنه جميل حقًّا لا محالة.

روز: سُررت كثيرًا بإعجابكِ به.

مي: لا وقت لدينا، هيَّا نبدأ.

روز: أين أدوات الزينة؟

مي: ها هي.

روز: جيد جدًّا.

مي: هل سنحتاج شيئًا آخر؟

روز: كرسي، وبعض الشرائط الملونة أيضًا.

مي: ها هو الكرسي، أما الشرائط سأجلبها لكِ وأعود سريعًا.

روز: سأبدأ حتى عودتكِ.

بدأت "روز" وأخذت تُزيّن هنا وهناك، وتضع ألوانًا مُنسقةً بجوار بعضها، ورسمت على الحائط بعضَ النقوش، وزخرفت جزءًا من الحائط ببعض البالونات الملونة، ولمَّا عادت "مي" انبهرت بجمال الألوان والزينة.

روز: ما رأيكِ؟

مي: إنها غاية في الروعة، كيف فعلتِ هذا؟

روز: هيَّا نُعلق تلك الشرائط هنا، وهنا أيضًا، وننتهي من التزيين.

مي: حسنًا، هيَّا بنا، علقيها أنتِ وأنا سأساعدكِ.

روز: لا بأس، إذًا أعطيني هنا الأحمر والأصفر، يكفي هكذا.

مي: وهناك ما هي الألوان المطلوبة؟

روز: اجلبي لي الأزرق والبنفسجي وبعضًا من هذا أيضًا.

مي: هل تحتاجين شيئًا آخر؟

روز: لا، انتظري قليلًا.. وها قد انتهينا.

مي: حقًّا إن ذوقكِ رفيع جدًّا، يا لجمال تلك الألوان معًا!

روز: حقًّا، الألوان جميلة للغاية.

مي: سأتفقد أمي إن عادت من الخارج، فهي تريد رؤيتكِ، وأيضًا لتُريها جمال تلك الزينة والزخرفة.

روز: لا تتأخري.

خرجت "مي" من الغرفة وتركت "روز" لقليل من الوقت، ثم عادت برفقة والدتها قائلة: هذه هي "روز" يا أُمي.

الأم: أهلًا يا عزيزتي، ما هذا الجمال؟ كم أنتِ جميلة حقًّا كما تُخبرنا عنكِ "مي" دومًا!

روز: أشكركِ كثيرًا، أنتِ أجمل.

مي: أمي، ما رأيكِ في الزينة إذًا؟

الأم: إنها جميلة جدًّا وجذابة، سلمت يداكِ يا عزيزتي، سأذهب لإعداد الطعام قبل مجيء الضيوف.

مي: حسنًا يا أمي، نحن في غرفتي وسنَهُمُّ بارتداء الثياب بعد قليل.

جلست "روز" وبجوارها "مي"، ودار بينهما الحوار التالي.

مي: أريد أن أتحدث معكِ قليلًا، فلتفتحي لي قلبكِ وتُجيبي بصدق.

روز: وهل علمتِ عني كذبًا من ذي قبل؟

مي: يشهد الله أن الصدق عنوانكِ، الصراحة تحل أينما حلَّت قدماكِ.

روز: إذًا تكلمي، ولكِ مُطلق السؤال.

مي: هل تسلَّل الحب لقلبكِ من قبل؟

روز: هل قيل في حقي شيئًا كهذا من خلف ظهري؟

مي: لا؛ لكن هذا السؤال يطرحه عقلي عليَّ منذ فترة، وأود معرفة إجابته الآن.

روز: أتعرفين نبات الصبار؟ يُسمَّى بالصبار الحزين، إذ يراه الجميع ويعلمون أن له فوائد لا حصرَ لها إلَّا أن الجميع يكره الاقتراب منه، أتُدركين السبب؟

أخبركِ أنا؛ لأنه كثير الشوك، أخبريني مَن سيقترب من شيء وهو يعلم أنه حتمًا سيتأذى؛ هكذا حالي، مَن سيقترب من فتاة مثلي صامتة أغلب وقتها، حزينة وقلبها يكمن به كل هذا الثقل؛ حتى كاد يحتضر من فرط ما أَلَمَّ به، لا أحد سيُجازِف بالبقاء مع فتاة انطوائية حزينة مثلي.

مي: لكنكِ لستِ هكذا؟ فقد حدث هذا مؤخرًا؛ لكنكِ تملكين روحًا فكاهية وقلبًا بريئًا يكمن به حب يكفي كونًا بأكمله، كيف لكِ أن تقولي هذا؟

روز: يبدو أنني انطفأت بعدما كنتُ نجمًا متوهجًا يستمد الآخرون بهجتهم مِنِّي.

مي: لكن حتمًا سيصيب سهم الحب قلبكِ ذات مرة، كيفما سيُصاب أحدهم بحُبكِ لا محالة.

روز: سأظل وحدي إذًا إلى أن يشاء الله.

مي: لا فائدة منكِ، تُصرّين على رأيكِ في كل مرة نتحدث فيها.

روز محاولة العرب من الحديث: الساعة الخامسة، هيَّا لنبدأ بترتيب أنفسنا، فلا بُد أن أصدقاءنا على وشك الحضور.

مي: هيَّا بنا؛ لكن لا بد لحديثنا أن يكتمل ذات مرة.

روز: هيَّا، وأحضري غطاء رأس ذهبيّ اللون، ولترتدي فستانكِ سريعًا حتى ننتهي قبل أن يأتي الحضور.

ارتدت "مي" فستان خِطبتها، وأحضرتْ غطاء رأسها الذهبيّ، وأخذت "روز" تلُفُّه لها وتُنسِّقه حتى انتهت، ثم أخرجت لها تاجًا لامعًا له بريق ساحر، ولما انتهت بدت "مي". كأميرة مُتوَّجة ذات طلَّة ساحرة، ولما رأت نفسها ارتسمت على شفتها ابتسامةً جعلت روز تبتسم بتلقائية، وهنا صرخت مي قائلة: أنا لا أعلم كيف لتلك اليدين الصغيرتين أن يكمن بهما كل هذا السحر! لقد جعلتِ مني ملكةً مُتوَّجة، فيا لجمال صنعكِ!

روز: لا يا عزيزتي، سر الجمال يكمن بداخلنا نحن، السر في كونكِ جميلةً اليوم هو قلبكِ، كلما نبض قلبكِ فرحًا ظهر ذلك نورًا على وجهكِ، فتبدين أكثر جمالًا؛ في الحقيقة أن الجمال ينبع من جمال الداخل.. جمال القلوب.

مي: هيَّا، فلتُعدِّي نفسكِ الآن، سأخرج أنا لأُرِي أمي و"بدر" حتى تنتهي أنتِ؛ كي لا أزعجكِ.

روز: لكِ مطلق الحرية عروسي الجميل.

خرجت "مي" وهمَّت "روز" ترتدي فستانها الأسود، ثم وضعت غطاء رأسها ونسَّقت ملابسها على طريقتها الخاصة الساحرة، ثم خرجت ووقفت أمام الغرفة تنادي "مي"، فكانت المفاجأة حين رأت "بدر" يقف، وقد ارتدى ألوانًا مشابهةً لها، ولاحظت نظراته الثاقبة الممزوجة بشيء من الدهشة والإعجاب، وهنا أخذ طريقه تجاهها قائلًا: هل بإمكان القمر أن يترك مداره حول الأرض ويقف هنا بجانبي؟

نظرت إليه وقد احمَرَت وجنتاها إثر كلامه الغزلي، لكنها لم تتحدث، فأعقب قائلًا: ألَا يمكن لقمرنا اللطيف أن يَمُنَّ علينا ولو بعبارة شاكرة كعادته.

فأجابت بخجل: شكرًا.

بدر: تبدين في غاية الجمال، فيا لحظ الناظرين إليكِ! أتعلمين؟ أنا أحسد ذاك الشخص الذي سيفوز بكِ يومًا ما.

أخذت تلك الكلمات طريقها لقلب "روز" مباشرةً، فهي لا تعلم إن كان حقًّا هناك شخص بإمكانه احتضان قلبها اليتيم ونزع الحزن منه، تُرى أيُعقل أن تجد ذاك الشخص الذي تطلبه من الله؟

دارت تلك العبارات في نفسها وأشاحت بنظرها بعيدًا حتى وجدت صديقاتها قد بدأن بالحضور، فخرجت تُسلِّمُ عليهن وهنا ذُهِل الجميع من جمالها، وأخذن في الحديث معها، وكم اشتقن لها ولضحكاتها وروحها المرحة! وقَطَع الحديث صوت طفل صغير من أطفال الجيران يصرخ قائلًا:

- لقد وصل العريس، وهو الآن يصعد الدرج.

ذهبت "روز" مسرعةً تنادي العروس لتجلس في المكان الخاص بها المرصَّع بالجواهر البسيطة والمزخرفة كما أعدته "روز" بنفسها، وأخذت صديقاتها مكانهن واشتعلت الألعاب النارية في الخارج، وبدأت أصوات الطبول وعَلتْ أصوات الموسيقى في أجواء المكان وبدأ الحفل.

وصل العريس وأبدى إعجابه الشديد بكل شيء وخاصةً العروس الجميل، وأخذ الجميع يلتقطون الصور ويُغنون هنا وهناك، وبدأت "روز" في الانسجام شيئًا فشيئًا إلَّا أن نظرات "بدر" لها طوال الوقت كادت تُفقدها صوابها من كثرة ما كانت تُخرجها من اندماجها مع صديقاتها، ألَا يعلم أنها تخجل من هذه التصرفات الصبيانية؟

انتهى الحفل، وقد كان رائعًا بكل مقاييس الجمال، والفضل يعود لـ "روز" وتنظيمها لكل شيء، وقد حان وقت رحيلها والعودة لكل شيء كئيب في المنزل، وكأنه أشبه بفيلم مُمل وروتيني بعنوان (وحدي بالمنزل)، لكنه ليس كالفيلم الأمريكي هذا، فالآخر مُسلٍّ كثيرًا ومن أفلام الكوميديا المضحكة، على عكس حياة "روز" التي صارت في المنزل تقليديةً وكئيبةً ذات روتين مُمل لا ينتهي.

روز: حان وقت رحيلي، فلقد تأخَّر الوقت كثيرًا.

مي: "بدر" سيوصلكِ.

روز: لا، فهو يبدو مُتعبًا الليلة، سأمضي في طريقي بمفردي.

الأم: كيف يحدث هذا؟ ماذا سيقول الجيران والأهل علينا؟ لا بد أن تجلسي هنا اليوم، ولتعودي في الصباح وقتما تشائين.

مي: هيَّا يا "روز"، سنجلس معًا في غرفتي، ولتوصدي الباب من الداخل عند نومكِ، واطمئني غرفتي بها سريران مريحان جدًّا للجلوس والنوم.

روز: حسنًا، لا بأس بالليلة فقط، ولِأعُدْ غدًا.

مي: هيَّا لنُبدل ملابسنا حتى تُعِدّ أمي الطعام.

روز: هيَّا بنا.

توجها إلى الغرفة الخاصة بهما وأنتهيا من تبديل ملابسهما ثم قالت مي: أنا سعيدة حقًّا بهذا القرار، ستُحبين منزلنا كثيرًا.

روز: آمُل أن أنام الليلة.

مي: لماذا؟

روز: لأنني لا أستطيع النوم خارج منزلي.

مي: وماذا ستفعلين عند زواجكِ؟ هل ستأخذين سريركِ معكِ؟

روز: لن أتزوج الآن، هيَّا لقد انتهيت.

مي: لنخرج ونتناول العشاء ثم نذهب للنوم، فأنا متعبة جدًّا.

خرجت الفتاتان وجلس الجميع حول مائدة الطعام، وبدأ كل منهم في تناول ما يكفيه من الطعام، ولما أنهت كل منهما طعامها، قامتا بمساعدة الأم في إدخال الطعام وترتيب المطبخ، ثم اتجهتا لغرفة النوم.

مي: "روز"، ألاحظتِ ما رأيته اليوم؟

روز: ماذا حدث؟

مي: لقد لاحظت نظرات "بدر" إليكِ، أشعر وكأن به شيئًا هكذا تجاهكِ.

روز: فلتنامي إذًا، ألم تخبريني بأنكِ متعبة؟!

مي: حسنًا كما شئتِ، أردت فقط أن أُسلّي وقتكِ حتى تستطيعين النوم.

روز: لا، لقد ذهبت في النوم، ألَا ترين؟!

مي: حسنًا، تصبحين على خير.

روز: وأنتِ من أهل الخير.

أخذت "روز" تُحدِّث نفسها قبل النوم كعادتها متسائلةً لماذا كان ينظر "بدر" إليها تلك النظرات الغريبة؟ فهي لم تعهد نظرات الآخرين هكذا، تُرى هل حقًّا أنا جميلة كما قال؟ هل سيأتي مَن يُنير عتمتي وينتزع الحزن من أعماق قلبي؟ هل هنالك حقًّا ما يُسمَّى بفُرسان الأحلام، إذًا ما هي مواصفاته بالنسبة لفتاة مثلي؟

لا أدري، ربما لَمْ أطرح هذا السؤال على نفسي من قبل، ربما لأنني لم أُصادف الحب في طريقي من قبل، دومًا ما كُنت في عُزلة عن الجميع، فقط حياتي تنحصر في عائلتي الصغيرة وأصدقائي والمرح معهم، لم أشغل بالي قط بالعلاقات وذاك الشيء الذي يُسميه الجميع بالحب، لَمْ أبحث يومًا عنه ولَمْ أكن لأهتم سوى بحياتي ومستقبلي، لم أكُن أعلم أننا نكبُر بسرعة هكذا، وأن العُمر أيام وبضعة منها.

لكن هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها بأنني بحاجة إلى رفيقٍ لدربي، ينفض عن قلبي غُبار الحزن، يُلملِم ما تبقى من الحب بداخلي، ويغزل به سُترةً له وحده، تُرى

هل سأَجِدُ ذاك الشخص؟ أم أنه هو الآخر سيُكمل ما صنعه الحزن بقلبي؟ دبِّرها لي يا الله.

وفي تلك الأثناء على الناحية الأخرى كان "بدر" غارقًا في التفكير، حتى إنه لم يستطِع النوم مباشرةً كعادته، ظَلَّ يسأل نفسه هل حقًّا أحبَّ "روز"؟ أم أنه مجرد إعجاب عادي، ولماذا هي رغم أنه يُصادف الكثير من الفتيات كل يوم، بالإضافة لصديقات أخته الذي لم ينتبه لإحداهن من قبل إلَّا أنها هي فقط مَن جعلته يشعر بنبضة مختلفة حين رآها في المرة الأولى.

حقًّا، إنها جميلة جدًّا حتى وهي منهمرة في أحزانها، لكنه لا يريد أن يتسرع في الحكم على قلبه؛ كي لا تصبح العواقب وخيمة، ويندم في وقت لا ينفع فيه الندم؛ لذا قرر بينه وبين نفسه أن ينتظر ويُمهل قلبه بعضًا من الوقت؛ حتى يتيقن من حبه لها، ثم بعد ذلك يذهب إليها بقلبه ووجدانه معترفًا لها منتظرًا ردة فعلها هي الأخرى، تُرى ماذا ستكون؟

يبدو أن الجميع كان مُرهقًا إثر حفلة أمس، فلم يستيقظ أيٌّ منهم في البكور كعادته، وظَلَّ الجميع نيام حتى الساعة العاشرة صباحًا.

استيقظت الأم، وبدأت في إيقاظ الجميع، وطلبت من "بدر" أن يتوخى الحذر لوجود ضيفتهم هامسةً له: إنها لفتاة رائعة، آمُل أن تكون إحدى أفراد بيتنا قريبًا.

لم يلتفت "بدر" لهذا الكلام، فلقد أخذ قراره وأصرَّ على الانتظار وقتًا كافيًا؛ للتيقن من حاله، إلا أنه شعر وكأن قلبه يتراقص لتلك الكلمات، لكنه أسرع؛ كي ينتهي قبل أن تستيقظ ضيفتهم حرصًا منه على ألَّا تُصاب بالحرج.

انتهى "بدر" سريعًا من حمامه وارتداء ملابسه وشرع في تناول بعض طعام الفطور، وبعدها ذهب إلى عمله قبل أن تستيقظ الفتاتان، وترك لهما مفتاح السيارة ربما ترغب "روز" في الرحيل.

استيقظت "روز" مُعلنةً رحيلها، ورافقتها "مي" لإيصالها، وبينما هما في الطريق صَرَّحتْ "مي" قائلة: لا أعلم منذُ متى و"بدر" يذهب لعمله دون سيارته، دومًا ما يكره قيادتي ولا يترك لي المكبح، ثمة شيء غير مفهوم اليوم.

كلمات "مي" هذه بالإضافة لنظرات "بدر" طوال الحفل جعلتها تلتفت حقًّا إلى أن "بدر" مهتم بها بعض الشيء أو ربما فقط كأخته، لم ترغب أبدًا في أن تُعلق قلبها بأحد مهما حدث.

نظرة؟ ما أكثر نظرات الشباب للفتيات في أيامنا هذه! ويا لكثرة الكلمات الموجَّهة إليهن أيضًا أشباه: كم أنتِ جميلة! ما أجمل هذا الزي! وغيرها من الكلمات التي يُلقيها الشباب في شوارع بلادنا لفتيات ربما لَم يعهدوا أن رأوا إحداهن، لكنها طِباع ونفوس مريضة، حتى لو كان الأمر يختلف بالنسبة له؛ لذا لم تضع "روز" نظرات "بدر" موضع أهمية بالنسبة لها خشيةَ أن يتألم قلبها الصغير يومًا ما إثر ذلك، وهذا أفضل.

انتهى الطريق بسرعة، فغالبية الوقت كانت "مي" تُحادث "آدم" في الهاتف، بينما كانت "روز" تتكئ على نافذة السيارة كعادتها، تائهة في الطريق فلم تشعر كلاهما بأن الطريق قد مرَّ سريعًا هذه المرة، إلى أن وصلت "روز" إلى منزلها، ودَّعتها "مي" مؤقتًا إلى أن يلتقيا في أول أيام الفصل الدراسي الثاني والأخير لهما.

دخلت "روز" إلى منزلها، لم تلبث أن تأخذ قسطًا من الراحة حتى وجدت صوت أحدهم يطرُق على الباب؛ فهمَّت مُسرعةً لترى مَن الطارق، لكن بالنسبة لفتاة مثلها تسكن وحيدةً في هذا المنزل منذ فترة، ولم تعطِ أحدًا موعدًا مسبقًا اعتراها قلق شديد، فاصطحبت معها الصاعق الكهربائي الخاص بها، فلم تعد تستطيع العيش دونه من شدة القلق، فتحت الباب ببطء فصُدِمت حينما رأت أن أحد أقاربها قد أتى لزيارتها، بعدما وصل إليهم خبر موت والدتها، لقد كان عمها الذي يعيش في الريف.

العم: البقاء لله وحده.

روز: ونعم بالله.

العم: متى تُوفِّيت والدتكِ؟ لم يصل إلينا الخبر سوى الاسبوع الماضي، ولماذا لم تُرسلي إليَّ؟

روز: اعذرني يا عمي؛ فلقد كُنت مُشتتةً في تلك الحقبة الزمنية، ولم يخطر ببالي ذلك الأمر، فأنت تعلم أنني أعيش مع أمي فقط منذ أعوام بعد وفاة والدي وسفر أخي الأكبر للخارج، ولم يكُن لي سواها، فوفاتها أماتني حيَّة، أتدرك كيف للمرء منَّا أن يعيش هكذا وحيدًا في عُزلة عن الجميع، لا أهل له ولا وطن؟ كيف للمرء منا أنْ يرى روحه تخرُج من جسده على حين غفلةٍ منه؟ تنسحب منه شيئًا فشيئًا كما يُسحَب الدم من الشرايين.

العم: آسف يا بُنيتي؛ لكن الخبر لمْ يصل إليَّ سوى مؤخَّرًا، لكنني لن أتركِكِ هنا وحدكِ، ستأتين وتعيشين معي.

روز: لا أستطيع الآن يا عمي، فأنا أدرُس بالجامعة، ولقد أوشكتُ على إنهاء دراستي، ولا يمكنني تركها.

العم: لن تتركها، فقط يمكنكِ نقل دراستكِ إلى فرع قريب من بيتي.

روز: لا يوجد فرع لجامعتي بالقرب منكَ يا عمي.

العم: وما الحل إذًا؟

روز: لا بأس يا عمي، يكفيني سؤالك عني، ثم إن أخي ربما يصِل قريبًا.

العم: حسنًا، وسأطلب من "عليٍّ" ابني أن يمُر عليكِ من حين لآخر، فقد تم نقله في العمل، وعمله يقع بالقرب منكِ.

روز: لا داعي لهذا، فأنا بخير هنا.

العم: لا، هو متحمس كثيرًا لزيارتكِ، وسيمُر عليكِ قريبًا ليأخذكِ في جولة وزيارة لنا، فربما لست بخير.

روز: أشكرك على اهتمامك يا عمي.

العم: عليَّ الذهاب؛ كي لا أتأخر في الطريق.

روز: انتظر قليلًا، ولنتناول الغداء معًا.

العم: وهل تُجيدين الطهي أم ماذا؟

روز: انتظر وستتفاجأ.

العم: حسنًا؛ لكن أسرعي؛ كي لا أتأخر على القطار، فالطريق ما زال طويلًا.

روز: سيكون كل شيء جاهزًا في أقل من ساعة.

أعدتْ "روز" بعض الطعام، وأضافت إليه نكهتها الخاصة مع بعض المكونات التي تُضفي عليه المذاق الجيد، فبالرغم من كونها طاهيةً ماهرةً إلَّا أنها توقفت عن الطهي منذ وفاة والدتها، وأصبحت تأكل أي شيء بسيط متاح، لكن اليوم وجدت أنيسًا ربما يُشجعها حتى ولو ليوم واحد.

بعد الانتهاء من وجبة الغداء اعترف العم بأنه لم يتذوق طعامًا بهذا الجمال منذ وقت طويل؛ مما أسعد "روز" بعض الشيء.

أسرع العم ليتمكن من الوصول إلى بيته قبل الظلام، وأكد على زيارة ابنه "عليّ"؛ ليصحبها معه في زيارة لبيته، وسيكون يومًا جيدًا للتجول في أنحاء البلدة، فوافقت "روز".

بمجرد انصراف العم شعرت "روز" بفارق كبير، فلقد عادت للجلوس وحيدةً بكل هدوء، هي لا تكره الهدوء لهذا الحد، لكنها لا تُحب الجلوس هكذا وحيدةً طوال الوقت، وهل لا يمَل المرء منا من العيش في وحدة تامة وعُزلة عن الجميع؟

حسنًا، أتفق بأن الأذى النفسي الذي يسببه لنا بعض البشر يجعل منا أُناسًا انطوائيين يفضِّلون العُزلة عن الاختلاط بهؤلاء الحمقى، لكن لنسأل أنفسنا هذا السؤال.. هل نرغب حقًّا في الابتعاد عن الجميع؟ أم أن هنالك شخصًا بعينه نحتاج دومًا الهرب إليه حتى من أنفسنا؟ ضمة واحدة من ذراعيه دون أن نتفوه بكلمة، الشعور فقط بأن هناك شخصًا بإمكانك الهرب إليه من بؤس هذا العالم، حين تشعر بأنك تائه فيجدك هو، هذا الشعور يكفي لجعلك تطمئن.

الحقيقة هي أننا لا نريد الهرب من الجميع حين نشعر بأننا تائهون، بقدر ما نرغب في أن يجِدَنا أحدهم، ويخبرنا أنه بجوارنا ولن يترك يدنا أبدًا.

مرَّت الأيام، و"روز" تجلس هكذا وحيدة، الأيام والوحدة جعلت منها انطوائيةً أكثر، أثرت كثيرًا عليها، جعلتها ترفض التحدث لأحد حتى صديقاتها لم تعد تتحدث إليهن كالسابق، لم تعد تخرج حتى لَتجلِب أغراض البيت، اكتفت بأكل أي شيء متاح أمامها، تقلَّصَتْ معدتها كثيرًا وربما أُصيبت بفقدان في الشهية، بدأت تشعُر بالألم والإرهاق الزائد بالرغم من أنها لم تكن تتحرك كثيرًا، أصبحت تتأثر حتى بالكلمات التافهة البسيطة أكثر من أي وقت مضى.

باختصار، حالها صار أشبه كثيرًا بشخص يجلس على أريكته المكونة من شخصين فقط، في مكان أشبه بسجن لروحه مكون من أربعة جدران، وفي كل ليلة يقتحم الحزن عُزلتها بالجلوس بجوارها على تلك الأريكة ولا ثالث لهما.

بدأ الفصل الدراسي الثاني، ونزلت "روز" إلى الجامعة الخاصة بها؛ ربما تخرج من حزنها قليلًا، لكن لا فائدة، كانت تذهب إلى الجامعة وتعود دون محادثة أحد، فقط إن طلب منها أحدهم شيئًا وإلَّا تظل صامتة.

شعرت "روز" بأنها ترغب في الخروج وتغيير الروتين القاتل، فحادثت عمها وأخبرته، فاقترح عليها زيارته وقضاء العطلة الأسبوعية معهم ثم العودة لإكمال دراستها؛ فوافقت بشدة، أخبرها بإجراء مكالمة مع "عليٍّ" والاتفاق فيما بينهما على الموعد والمكان حتى تأتي معه ويوصلها إلى المنزل، فهو أيضًا يعود لقضاء العطلة الأسبوعية معهم.

بعد أن أنهت حديثها مع العم انتظرت بعض الوقت حتى أنهت بعض الأعمال الخاصة بها، ثم قامت بإجراء مكالمة مع "عليّ"، لكنها كانت مترددة؛ فهي لم تتحدث معه منذ آخر مرة قام بزيارتهم عند وفاة والدها منذ خمس سنوات أو ربما أكثر، لكنها استجمعت شجاعتها وقامت بمحادثته.

عليّ: أهلًا "روز"، كم أشتاق لسماع صوتكِ، كيف حالكِ؟

"روز" _متعجبةً من ردة فعله_ كيف له ألَّا يُعاتبها على عدم سؤالها عليه طوال تلك الفترة؟ كيف له أن يتفهم الأمور بهدوء هكذا؟ يا له من شخص ناضج!

عليّ: "روز"، ما بكِ؟

روز: هل أخبركَ عمي؟

عليّ: نعم، أخبرني بكل شيء، وآسف على عدم سؤالي طوال تلك الفترة، فلم يكن لدينا أيَّة وسيلة للاتصال بكِ، حتى أن أبي قد تعب كثيرًا حتى تمكن من معرفة عنوانكِ الجديد.

روز: أجل، نسينا أن نخبركم أننا انتقلنا إلى منزل جدي لأمي بعدما صار مِلكًا لأمي، وتركنا المنزل القديم، فقد كنا مستأجرين لفترة وانتهت.

علي: لا عليكِ، أخبرني أبي باصطحابكِ معي غدًا، أخبريني أين أجدكِ؟

روز: سأنتظرك عند باب الجامعة الساعة الواحدة، وأرسل إليك العنوان في رسالة.

علي: سأحاول إنهاء عملي قبل ذلك الوقت، وأمُر عليكِ.

روز: سأنتظرك.

علي: أخبريني إذًا، هل لا زلتِ جميلةً كما كنتِ؟ أم صِرتِ أجمل؟

روز بخجل: لا، لم تتغير ملامحي كثيرًا؛ لكنها انطفأت.

علي: لا بأس، ستعودين أجمل من السابق بعد تلك الزيارة، لا، ستبدين جميلةً فقط عند رؤيتي.

"عليّ" دومًا ما يستطيع أن يجعل "روز" تبتسم حتى ولو كانت تحمل جبالًا من الأثقال والحزن على عاتقها -فُكاهي ومرِح- تلك الكلمات أقل ما يُقال عليه، تحبه كثيرًا منذ الصبا، وتحب قضاء الوقت معه؛ لكن الحب بينهما كان حبًّا نقيًّا وأخويًّا ليس إلَّا، لكن تُرى هل سيظل الحب أخويًّا بينهما؟ أم سيحدث ما اعتدنا عليه أغلب الوقت من زواج البنت من ابن عمها كما يحدث دائمًا في الأفلام والروايات؟

أخذ "عليٌّ" يتكلم بكلمات مرحة تارة وغزلية تارة أخرى، وأخذت "روز" تستمع إليه وتبتسم، حتى أخذ يتكلم عن طفولتهما معًا مُذكِّرًا إياها بتلك الأيام، فقد كانا دومًا معًا وكان يُدافع عنها، فهو يكبُر عنها بثلاث سنوات أو ربما أكثر بقليل، ظل يتحدث طوال الليل حتى دقت الساعة العاشرة ونصف، هنا شعرت روز بالنعاس، فما زالت لديها جامعة، وعليها أيضًا ترتيب أغراضها، فاستأذنت منه أن تُغلق الهاتف، فوافق.

بدأت "روز" بترتيب أغراضها التي سوف تأخذها معها في زيارتها، وقررت أن تشتري بعض الهدايا البسيطة لهم في الصباح بعد انتهاء اليوم قبل وصول "عليّ"، ثم انتهت من كل هذا وذهبت في سُبات عميق.

وقبل العطلة الأسبوعية بيوم واحد أخذت "روز" حقيبة ظهرها التي أعدتها، وأخذت معها حقيبة يدها وذهبت إلى الجامعة، وبينما هي في الطريق إذ شعرتْ

بدوار وألم شديد في رأسها كاد يعوق قيادتها، لكنها أكملت طريقها بصعوبة حتى وصلت إلى الجامعة، لم تكن تعلم ماذا بإمكانها فعله؟

فُوجئت بأنَّ "مي" كانت تنتظرها فأسرعت إليها، وبينما كانت تُخبرها بمدى اشتياقها، وأنها لولا انشغالها بتجهيزات العُرس وشراء الأدوات لاتفقت معها وقامت بزيارتها؛ إذ بـ"روز" وقعت مغشيًّا عليها.

صرخت "مي" صرخةً شديدةً حتى أسرع الجميع إليها من صوت صراخها، اتصل الأمن بسيارة الإسعاف وفي أقل من ساعة وصلت إلى المستشفى الخاصة بالجامعة، ورافقتها "مي" إلى هناك، لكن الطبيب رفض دخول أحد معها إلى غرفة الفحص.

لم تكن تعلم "مي" ماذا بإمكانها فِعله؟ فتلك هي المرة الأولى التي تقع بها في هذا الموقف، فاتصلت بـ "بدر" -وقد بدا على صوتها أثر الخوف- وقالت: "بدر"، اترك ما بيديك وأسرعْ إلى هنا.

بدر: أنا في العمل، كيف عليَّ المغادرة؟

مي: أنا في المشفى و...

بدر: ماذا حدث؟ فقط اهدأي وأخبريني هل أنتِ بخير؟

مي: سقطت "روز" مغشيًّا عليها، ولا أدري ما السبب.

بدر: أنا قادم، فقط أرسلي لي العنوان.

مي: حسنًا أرسلته، لا تتأخر رجاءً، واحترس في طريقك.

وصل "بدر" في غضون نصف ساعة أو ربما أقل.

بدر: ماذا حدث؟

مي: لا أعلم، لم يخرج الطبيب بعد.

بدر: اهدأي، ستكون بخير.

مي: ها هو الطبيب الخاص بها.

بدر: أخبرنا -أيها الطبيب- ماذا حدث لها؟

الطبيب: لديها أنيميا حادة وضربات قلبها غير منتظمة، ولا بد أن تستمر هنا تحت الملاحظة بضعة أيام.

بدر: هل حالتها خطيرة؟ بإمكاننا نقلها لمشفى أخر أكبر.

الطبيب: لا فائدة من هذا، المشفى هنا مُجهَّز بكل شيء، هي فقط تريد الراحة والمتابعة، وسأُشرف على حالتها بنفسي.

بدر: شكرًا لك.

مي: ماذا سنفعل؟ أنتركها هكذا وحدها؟

قاطع حديثهما شابًّا وسيمًا يظهر بكامل أناقته، متسائلًا عن الغرفة التي ترقُد بها شابة تُدعَى "روز" قائلًا: أين هي الشابة التي أُغشيَ عليها في الجامعة، وتم نقلها إلى هنا من قِبل سيارة الإسعاف رقم ٢٨٢٠ وهي تُدعَى "روز"؟

بدر: ومَن تكون أنت؟

الشاب: أنا "عليٌّ" ابن عمها، لقد كُنا على موعد في الساعة الواحدة، أخبراني هل أصابها أي مكروه؟

مي: لا، إنها بخير، فقط أخبرنا الطبيب بأن عليها البقاء هنا ليومين تحت الملاحظة.

علي: أين غرفة الطبيب من فضلك؟

مي: إنها هناك أقصى اليسار.

علي: أشكركِ كثيرًا، لكن مَن أنتما؟ هل أنتما أقاربها؟

مي: لا؛ لكنّي صديقتها، وهذا أخي.

علي: تشرفت بكما، شكرًا لكما، والآن يمكنكما الذهاب فأنا سأظل بجانبها.

بدر معترضًا: لا، سنظل هنا؛ حتى نطمئن عليها.

علي بغرابة: وهل سبق لك أن عرفتها؟

بدر وقد اشتعل غيظًا: ما شأنك أنت؟

مي: اهدأ يا "بدر"، ولتأتِ معي.

بدر: إلى أين تأخذينني؟

أكمل "عليٌّ" طريقه إلى غرفة الطبيب، بينما ابتعد "بدر" وأخته قليلًا عنه.

بدر غاضبًا: ماذا تريدين؟

مي: اصمت قليلًا، ماذا أصابك؟

بدر: لا أعلم، لكنني لن أتركه هنا بجانبها وحدهما، ربما يؤذيها.

مي: انتظر هنا، ألاحظ أنك أصبحت مهتمًا بـ"روز" كثيرًا حتى أنك تسألني كثيرًا عنها، بالإضافة ليوم حفلة خِطبتي وتلك النظرات الغريبة إليها، أخبرني ما بك؟

بدر: لا أعلم، حتى عندما علمت منكِ أنها هنا اقتُلِع قلبي من بين ضلوعي.

مي: هل تُحبها إذًا؟

بدر: انتظرت كل ذلك الوقت؛ لأتأكد من حبي لها خشية أن أؤذي قلبها إن ظهر عكس ذلك، لكنني وجدت أن غيابها عني الأيام الماضية كان كفيلًا بأن أتأكد بأن حياتي بدونها رماد.

مي: كونك خشيت إيذاء قلبها فهذا وحده دليل على محبتك لها، لكن كيف أحببتها وأنت لم ترَها سوى ثلاث مرات فقط؟

بدر: وحدها كانت قادرةً على سرقة قلبي من مكانه منذ الوهلة الأولى، لديها شخصية فريدة من نوعها، جميلة الروح قبل الوجه، بإمكانها أن تخطف قلوب الآخرين بمجرد ابتسامة بريئة منها، احترامها وخجلها الذي تبرى من فتيات كثيرة في أيامنا هذه، يبدو أنني أحببتها حقًّا، وإن المحب يرى الحبيب بنظرة مختلفة عن أعين الناس، فهو يراه بقلبه، والقلب أبصر من العين.

مي: لماذا لم تُخبرها أو حتى لم تُصرّح لي قبل ذلك.

بدر: أخبرتكِ أنني أردت التأكد أولًا من محبتي لها وكذلك هي، واليوم أشعر حقًّا بمعنى الحب الحقيقي تجاهها، حتى أن قلبي يحتضر وأنا أراها هكذا، ولن أخرُج من

هنا حتى أطمئن عليها، ولن أدَع هذا الشخص يبقى معها وحده هكذا، حتى لو بِت هنا أمام بابها أو قضيتُ الليل واقفًا هكذا دون راحة.

مي: أتغار إلى هذا الحَد؟

بدر: وأكثر.

مي: نسيت أن أسألك هل قُمت بحساب المستشفى؟

بدر: لا ؛ سأذهب لأفعل هذا قبل أن يأتي هذا الوسيم ليفعلها.

مي: يبدو أنك تحبه كثيرًا.

بدر: جدًّا، حد الغيظ.

نزل "بدر" الطابق السفلي وقام بدفع فاتورة المستشفى كاملة، وأخذ موافقةً على أن يرافقها هو، وفي تلك الأثناء كان "عليٌّ" أيضًا يأخذ موافقة الطبيب على المبيت معها حتى تفيق، فوافق الطبيب وطلب منه أن يدفع تكاليف المستشفى قبل ذلك؛ لأن الجامعة لا علاقة لها بالتكاليف الإضافية والمبيت تحت الملاحظة؛ فوافق، وبينما ذهب ليدفع تلك التكلفة إذ وجد "بدر" قد انتهى من دفع كل التكاليف وأخذ الفاتورة، فغضب واعترض على ذلك قائلًا: مَن أنت لتفعل كل هذا؟ خذ ما دفعت وارحل من هنا.

بدر -وقد تمالك غضبه-: أختي مَن جاءت بها إلى هنا، وهي تملك مكانة كبيرة في قلوبنا، وقد فعلت ذلك وانتهى الأمر، نسيت إخبارك بأنني لن أقبل بمبيتك معها وحدك إذ أخذت موافقة المستشفى، وسنبيت هنا معًا وإلَّا إن لم يُعجبك الأمر فمن الأفضل أن ترحل وتبيت في منزلك.

عليٌّ وقد بدا عليه علامات الغضب: لو تنشق الأرض وتبتلعُك سأكون شاكرًا لها.

بدر مستجمعًا هدوءه: حتى لو فعلَت، سأنبُتُ من جديد وتتفشى جذوري في كل أنحاء الأرض، ومَن يدري ربما تخرُج لك من كل جذر نسخة أخرى مصغَّرة مني.

عليٌّ وقد ثار وكأنه بركان تعلوه الحِمم: إن لم تغرُب عن وجهي الآن فسأقطعك إربًا وأُمزِّقُ أشلاءك، ثم ألقيها طعامًا للسباع.

لم يلبث أن يُجيب "بدر" حتى سمع صوت أخته تُوقف حديثهما قائلة: أفاقت، لقد استيقظت "روز".

أسرع الجميع إليها، لكن الطبيب أخبرهم بأن الدخول ممنوع في هذا الوقت؛ حتى تستقر حالتها وتأذن لهم بالدخول، وصرَّح بإعطائها حقنة مهدئة ستُبقيها نائمةً طوال الليل.

استأذنت "مي" بالعودة إلى المنزل، وطلبت من "بدر" أن يتوخى الحرص في حديثه، وأن يضبط نفسه؛ كي لا تقوم معركةً بينهما بسبب غيرته، وأخبرت أنها ستأتي لتطمئن عليهم في الصباح، فوافق ووعدها التصرف بحكمة وتحكيم عقله ووقف الشِّجار.

بدأ "بدر" في قراءة القرآن، وأخذ يُصلي ويدعو الله لها بالشفاء العاجل، ظل مستيقظًا طوال الوقت، يذهب لإلقاء نظرات عابرة لها بين الحين والآخر؛ حتى يطمئن عليها، حتى أنه لم يلقِ بالًا لوجود "عليّ"، لكنه حرص على بقائه مستيقظًا حتى ينام هو أولًا، وظل في صراع مع النوم حتى اطمئن أن "عليّ" قد ذهب في نومه، فأخذ موضعه ونام من كثرة التعب.

في الصباح، استيقظ "بدر" عند الفجر، وراح يصلي ويدعو الله لها، وبينما كان يدعو إذ وجد نفسه يقول: يا رب إني أحببتها، أنت تعلم أن الحب لم يتسلل لقلبي قبل رؤيتها، هي فقط يا الله، هي حُلمي الوحيد، اجعلها من نصيبي زوجةً وأُمًّا وسندًا لي يا الله.

ظل يدعو هكذا حتى أشرقت الشمس، ولم يشعر بحاله حتى طرق أحدهم الباب، لقد كان الطبيب يستأذن بالدخول للاطمئنان على "روز"، فسأله "بدر" عن سبب احتجازها هنا فأجاب: لا أريد أن أُثير قلقك، لكن ربما أُصيبت بأزمة نفسية حادة، ليس بإمكاننا الحكم على حالتها إلَّا بعد أن تستيقظ، وقتها سيتحدث معها الطبيب النفسي بعض الوقت، وهو مَن بيده الحُكم إن كانت حالتها خطيرةً سُتحوَّل إلى القسم النفسي لمعالجتها أو كيفما يشاء الطبيب، بإمكانكم مشاورته إن أمكن معالجتها في المنزل مع زيارة الطبيب في عيادته الخاصة مرة أو مرتين أسبوعيًّا حتى تتحسن.

بدر: يا له من خبر مزعج! آمُل أن يوافق الطبيب على إكمال علاجها بالمنزل، فسيكون أفضل لحالتها، إنها حساسة جدًّا، أعتقد أن العلاج لن ينجح إذا وجدت نفسها هنا في القسم النفسي، هل بإمكانكم إخفاء الأمر عليها، وأنا بإمكاني التحدث مع الطبيب النفسي والاتفاق معه؟

الطبيب: لا بأس، يمكنني تفهُّم الأمر، حقًّا سيكون من الأفضل أن...

قاطع حديثهما صوت صراخ قادم من غرفة "روز"، واستيقظ "عليٌّ" أيضًا على هذا الصراخ، فأسرع الطبيب إلى الداخل ووجد أن "روز" هي من كانت تصرخ، فلقد كانت تصرخ وبشدة، لكن الصراخ ينبع من الداخل، وكأن قلبها هو الصارخ

الحقيقي، كاد قلبها ينفجر من فرط الألم، وكأن أحدهم قد غرس فيه خنجرًا مسمومًا حتى نزف كل ما به من دماء.

أسرع الطبيب بتجهيز جرعة من المُهدئ وأعطاها إيَّاها تدريجيًّا، حتى بدأت تهدأ وكَفَّت عن الصراخ، ثم نامت.

الطبيب: لا بد من استدعاء الطبيب النفسي في أسرع وقت قبل أن ينتهي مفعول المُخدِّر.

جلس "بدر" بجوارها حزينًا حتى كادت تدمع عيناه من الأسى، فرأى أخته قد وصلت بالخارج، وقد أتت لتطمئن عليها، فلما وجدته على تلك الحال تساءلت عما حدث، فأخذها وخرجا من المستشفى وجلسا في الحديقة الخاصة بها، وهنا أخبرها بما صرَّحَ به الطبيب، فظهر على وجهها علامات الأسى، ولم يدرِ أيٌّ منهم ماذا يفعل؟

ساد الصمت في المكان لفترة ليست بقصيرة، وهنا سألت مي: هل بيدنا شيء نفعله؟

بدر: لا شيء سوى أن ندعو الله لها بالشفاء، راجين منه أن تعود "روز" إلى حياتها الطبيعية عما قريب.

مي: هل ستظل هنا أنت؟

بدر: لن أتركها يا "مي" إن كنتُ أفعل هذا مع الأغراب ومَن لا يمتون لي بِصِلة، فهل أتركها وقد احتلت قلبي حتى كِدتُّ أشعر بأن النبض بداخلي قد توقف وأنا أراها هكذا؟ ولا أعلم أيضًا كيف ظهر لي هذا الشخص الذي يقول بأنه ابن عمها.

مي: اهدأ يا "بدر"، حتمًا ستكون بخير، فأنا أثق بذلك.

بدر: هيَّا نصعد إليها؛ لنطمئن كيف وصلت حالتها؟

مي: انتظر، أنت لم تأكل منذ ليلة أمس.

بدر: كيف لي أن آكل؟ لا أريد.

مي: أتريد أن تقع أرضًا ويصبح لدينا ضحيتان؟

بدر: حسنًا، سآكل فقط لأتمكن من الصمود هنا إلى أن يتم شفاؤها.

بعد تناول بعض الطعام الذي لا يكفي لإطعام فتى صغير، أسرع "بدر" ومعه أخته في الصعود إلى حجرة "روز" مرة أخرى، عساها أن تكون بخير هذه المرة، دخلا فوجدا "عليّ" يقف خارج الغرفة، وعلمَا منه أن الطبيب النفسي ومعه الطبيب المُعالج معها في الداخل، ومنع الجميع من الدخول حتى ينتهي من تشخيص حالتها النفسية؛ كي يتمكن من طرح العلاج المناسب.

أعطى الطبيب لـ "روز" بعض المُهدئات مع إبقائها يقظة؛ حتى يتمكن من تشخيصها بهدوء، وراح يسألها بعض الأسئلة وأخذت تُجيب عليه، لكن الإجابة كانت على نحو غير مُتوقَّع.

الطبيب النفسي: ما اسمكِ؟

روز: اسمي هو "روز".

الطبيب النفسي: ماذا بكِ؟ تحدَّثي دون قيود فأنا أسمعكِ جيدًا، وطلب تشغيل بعض الموسيقى الهادئة؛ حتى تُهدِّئ من روعها قليلًا.

روز: لا أعرف ما هي المشكلة، أو كيف حتى وصلتُ لتلك المرحلة، لا أعلم ماذا أتى بي إلى هُنا، هل مرَّ عليك سابقًا أن تجد أفكارًا شتى قد تجمعت برأسك حتى كاد عقلك

أن يُجن من فرط التفكير؟ هل حدث أن شعرت بنيران تنبع من صدرك تُشعل قلبك بلا سابق إنذار؟

الطبيب النفسي: إذًا هلَّا سمحتِ لي أن أقتحم أفكاركِ المشتتة؟ ربما أجد بها فِكرةً نصل بها إلى حل مشكلتكِ الصغيرة، استمري في الحديث عما يُزعجكِ، تحدّثي عن أي شيء يأتي بخاطركِ، لا داعيَ لترتيب حروفكِ، فأنا سأتفهم ما يدور برأسكِ، تحدَّثي فحسب.

روز: لا أعلم من أين أبدأ حديثي، ربما أبدأ بالسبب الأكبر وراء كل الأذى النفسي الذي سيطر عليَّ الآن.

صمتت قليلًا ثم قالت هكذا فجأة: الوحدة، حتمًا إنها الوحدة ما سبَّبت لي كل هذا، أصبحتُ أُحادث نفسي فلم يكن لي غيرها أتحدث معه، أصبحت أحادث نفسي باسم آخر حتى شعرتُ بأن لديَّ بعض الانفصام، أحيانًا أشعر بأنني سعيدة مع بعض أصدقائي، وأحيانًا أشعر بانزعاجي منهم، كيف لهم أن يتركوني هكذا وحيدةً إلَّا في مصلحتهم؟

أصدقائي؟ أي أصدقاء هم؟ مَن تركوني وحدي في منتصف الطريق؟ مَن تخلوا عني في أشد أوقات احتياجي لهم، مَن نصفوا الغريب ووقفوا معه ضدي؟ أم مَن كسروا ظهري حين أَدرتُه لهم؟

لا يوجد أصدقاء، إنه بمثابة مسمى زائف فقط ربما واحدة أو اثنتين مَن يصِح أن نطلق عليهم لقب أصدقاء، أمَّا الباقون فلا حق لهم في البقاء في حياتي، ولا فضل لهم عليَّ، هم الغارقون في أفضالي؛ لكنني لم أكتشف هذا سوى بعد فوات الأوان بعد كل تلك الطعنات والغدر الموحش، فلا سلام عليهم أينما كانوا.

الطبيب النفسي: هل أنتِ حزينة لهذا السبب؟

روز: لا، فالحزن أخذ مجراه مني منذ زمن بعيد، أمَّا الآن فلقد اعتدت على غدرهم، فلم يعُد يؤثر عليَّ في شيء.

الطبيب النفسي: هل أنتِ متأكدة بأنكِ لستِ أنتِ السبب؟ عفوًا لا أقصد شيئًا، لكن ربما ثمة شيء لم تفهميه أنتِ!

روز: كان هذا هو اعتقادي في بداية الأمر، دومًا ما كُنت ألتمس لهم أعذارًا حتى أنني قد التمست لهم أكثر من سبعين عُذرًا، لكن لا فائدة، إن الغدر والوحشة طبع في النفوس، أتَعلمْ؟ لقد كنتُ أُخفف عن الجميع، أقف كجبل سد في ظهر مَن يحتاجني، أسند كل ضعيف وأخفف عن كل مُتألم، وفجأة أُصِبت بخذلان وصدمات لمْ يعهدها أحد وخرجت أنا.

الطبيب النفسي: ما قصدك؟ ومَن أنتِ؟

روز: أنا الألم والتعب، أنا الخذلان والأحزان، أنا الأسى والحزن، أنا أسكن قلوب الكثير من شباب اليوم، المنخنقة صدورهم خاصةً مَن يكتُمون شعورهم داخل ذاك العضو الصغير الذي بحجم قبضة اليد، مَن لا يشعُر بهم أحد، هؤلاء الذين ينامون وأدمعتهم تأبى النزول على أجفانهم، وإن حدثت معجزة تجد تلك الأدمع تهطل كشلال من الماء منهمرًا على خديهم، مَن يملكون الضحكة الأجمل على الإطلاق، لكن انطفاء الروح يمنعهم منها.. هل علِمتَ الآن مَن أنا؟!

الطبيب المعالج: لكن تلك الكلمات كبيرة جدًّا على فتاة مثلكِ.

روز: التقدم بالعمر لا علاقة له بالسنين والأعمار؛ لكنها بالتجارب، بعدد مرات الخذلان، بمدى ركودك، بمستوى الحزن الذي وصلت إليه روحك.

الطبيب النفسي: أُريد أن أخبركِ شيئًا يجب أن يبقى في ذهنكِ.. إن الحياة محطات شتى، ونحن مراحل في حياة بعضنا، لكن لا بأس حتمًا سيأتي مَن يُعوِّضكِ عما مضى من العمر، ولا بد أن تتماسكي إلى أن يأتي ربيع عُمركِ، لمَ تساقطت أوراقكِ مبكرًا هكذا؟

روز: أخطأت حين تعلقت، لم أكن أعلم أن التعلق سيكون سببًا في وصولي إلى هذا المكان.

الطبيب المعالج وقد بدأ يكتشف سبب تلك الحالة؛ مما سيُسهِّل عليه سُبل العلاج، فقال لها: بمَنْ كان التعلق؟ وماذا حدث أخبريني؟

روز وقد بدأ الدمع ينزل على خديها: أمي، لقد كانت أمي أهم شيء في حياتي، أعتقد بأنه لم يكن لي سواها، كانت أمي وأختي وصديقتي وكل شيء في تلك الحياة القاسية، كانت تحمل عني الكثير وتعرف عني أكثر، لقد تحطمتُ بعد رحيلها، أصبحتُ بلا سندٍ أو مأوى، بلا كتف أتكئ عليه، بلا أنيس حتى أو جليس.

الطبيب النفسي: هل جربتِ شعور الحب؟

روز بحزن: كلا، لمْ يسبق لي أن جربت شعور الحب، ربما لمْ أسمح لأحد من قبل أن يكسر ذاك الحاجز بداخلي ويتسلل لقلبي، وأيضًا أعترف بأنني أخشى الحب كثيرًا، التعلق جزء من الحب، وإن أُصيب قلبي من زاوية الحب أيضًا سيكون كسرًا لا إصلاح له مجددًا.

الطبيب النفسي: ربما أوشكنا على الانتهاء، فقط أريد أن أُخبركِ بأنكِ تستحقين الحب ألف مرة، وأن مثلكِ مكانه ليس هنا، أنتِ بخير، بل أفضل من أي شخص آخر، فلديكِ عقل ناضج جدًّا تسبقين سِنك، فقط تريدين فترة نقاهة وكسرًا

للروتين اليومي، الذي يُعد ينبوعًا للحزن خاصتكِ، وأيضًا تحتاجين إلى رفيق يحبكِ؛ ليعوضكِ عن كل ما مضى.. فقط كوني على ثقة بعوض الله، وأنه قادر على إحياء الحب والنبض بداخلكِ من جديد، فقط عليكِ أن تُناجيه، داعيةً إياه أن يُحقق لكِ ما تتمنين، ويرزقكِ بمن يُشبه نقاء قلبكِ.

روز: هل بإمكاني الخروج اليوم؟

الطبيب النفسي: سأتواصل مع إدارة المستشفى بالاتفاق مع الطبيب المعالج على أن يتم خروجكِ آخر اليوم.

روز: أشكرك كثيرًا أيها الطبيب.

الطبيب النفسي: لا شكر على واجب، فقط سأكتب إليكِ بعض الأدوية المهدئة، عليكِ أن تُحافظي عليها في مواعيدها المُدوَّنة، وسأراكِ بعد شهر من الآن، آمُل أن أجدكِ أفضل حالًا.

روز: أشكرك مجددًا أيها الطبيب.

الطبيب النفسي: لا داعي للشكر، فقد كنتِ تحتاجين إلى مَن يستمع إليكِ فقط ويُشعركِ بالاهتمام الحقيقي، أنا من الواجب عليَّ أن أشكركِ حقًّا؛ لأنني قد وقعَتْ عليَّ استفادة كبيرة منكِ دون أن تشعري بذلك.

الطبيب المعالج: هل بإمكاني التدخل الآن يا "روز"؟

روز: تفضَّل -أيها الطبيب- بالطبع.

الطبيب المعالج: لقد أتى بالخارج ثلاثة أشخاص يودون الاطمئنان عليكِ، هل أسمح لهم بالدخول؟

روز بتساؤل: مَن هم؟

الطبيب المعالج: فتاة وشابان، الفتاة تُدعَى "مي"، وأمَّا الشابان فأحدهما "بدر" والآخر "عليّ".

روز: نعم أعرفهم، منذ متى وهم هنا؟

الطبيب المعالج: منذ البارحة.

روز: هلَّا سمحت لهم بالدخول -أيها الطبيب- من فضلك؟

الطبيب المعالج: حسنًا، وسنخرج لنترككم على حريتكم، هيَّا بنا.

بعد بضع دقائق خرج الطبيبان ودخلت "مي" و"عليّ"، بينما ذهب "بدر" مع الطبيبين إلى المكتب؛ كي يتحدث قليلًا معهما عن حالة "روز" ليطمئن عليها .

مي: "روز" كيف حالكِ؟ لقد قلقت كثيرًا بشأنكِ، أخبريني هل أنتِ على ما يُرام الآن؟

روز: أنا بخير اهدأي، إنها بعض الأنيميا فقط؛ نتيجة عدم انتظام الأكل في الفترة الأخيرة.

مي: لا بأس، المهم أنكِ بخير، ومن اليوم لا بد أن تحرصي على تناول الطعام جيدًا، تأكلي جيدًا جدًّا حتى تتعافي سريعًا.

روز: إن شاء الله.

علي: كيف حالكِ يا ابنة عمي؟ كم كنت أتمنى أن يكون أول لقاء لنا بعد كل تلك الأعوام في مكان أفضل من هذا، وتكوني بحال أفضل؛ فحالتكِ تلك تؤسفني كثيرًا، لم أُحب أبدًا أن أراكِ بتلك الحالة، لكن حمدًا لله على سلامتكِ.

روز: لا بأس يا "عليّ"، آسفة لتعطيل سفرك وجعلك تقضي الليلة هنا، حقًّا لا أعلم ماذا أقول لك.

علي: لا عليكِ، لا بأس، أهم شيء أنكِ بخير وستأتين معي.

روز: إلى أين وأنا على تلك الحال؟

علي: سيكون من الجيد أن تأتي معي وتستريحي في بيت عملكِ، ويا حبذا ببعض الهواء النقي بدلًا من هنا، هناك ستجدين الراحة والاسترخاء بعيدًا عن ضوضاء المدينة تلك.

روز: ربما نأخذ إذن الطبيب أولًا.

علي: حسنًا، سأذهب إليه بعد قليل، وأسأله هل بإمكانكِ أن تأتي معي أم لا؟

روز: أخبرني الطبيب بأنه سيأتي هنا بعد قليل، انتظره هنا أفضل؛ وسوف أسأله بنفسي.

علي: كما تشائين، سوف أنتظره لأجلكِ هنا.

روز: أخبرني الطبيب بأن هناك ثلاثةً في الخارج، ولكن أين "بدر"؟

مي: لا أعلم، ربما هو في الأسفل عند الخزانة.

روز: لِمَ؟ وهل سيدفع هو الفاتورة؟

مي: أجل؛ لقد قام بذلك بالفعل.

روز: لماذا يتكفل بكل هذا؟

مي: ماذا تقولين؟ هذا واجب علينا.

روز: أنا لديَّ نقودي الخاصة، وهل أخبرت أحدكم بأنني لا أمتلك دفع تكاليف المستشفى لنفسي؟

مي: لم يحدث شيء لكل هذا، إنه مبلغ بسيط، ولا داعي لما تقولين.

علي: ذهبت لأدفعها، ولكن وجدته قد بادر بالدفع، لا داعي للغضب الآن.

مي: أخبرتكِ مرارًا أنكِ مثل أختي، لماذا تُصرين كل مرة على وضع تلك الحواجز بيننا؟ لقد أخبرتكِ أن التكلفة بسيطة والجامعة تكفلت ببعضها.

روز: حسنًا، لا بأس.

وعلى الصعيد الآخر كان "بدر" يتحدث مع الطبيب بشأن "روز" قائلًا: أخبرني، هل أصبحت بخير الآن؟

الطبيب: نعم، هي بخير.

بدر: وماذا كانت مشكلتها إذًا؟

الطبيب: لا داعي لكل هذا القلق، لقد أُغشي عليها نتيجة قلة تناولها للطعام على مدار ليس بقصير، فأُصيبت ببعض الأنيميا الحادة؛ مما جعلها تشعر بدوار حتى اختل توازنها، فسقطت أرضًا، هذا من الناحية الصحية، أما النفسية فلقد كانت تحتاج مَن يستمع إليها، ولقد قام الطبيب النفسي بفعل هذا كما أعطاها بعض الأدوية المهدئة.

بدر: هل تعني بأنها ستصبح أفضل فقط إذا انتظمت في تناول الطعام؟

الطبيب: إن لهذا عاملًا كبيرًا على شفائها، لا بد أن تتناول طعامها جيدًا حتى تختفي الأنيميا، لكن هناك عوامل نفسية أيضًا لا بد أن نعالجها.

بدر: مثل ماذا؟

الطبيب: إنها تشعر بالوحدة القاتلة منذ وفاة والدتها، كما أنني اكتشفت بأن ليس لديها أصدقاء أوفياء دومًا معها، أو ربما هناك مشكلة لديها بشأن أصدقائها لم تستطِع تجاوزها بعد.

بدر: لكنها صديقة لأختي، وهي دومًا معها.

الطبيب: لكن أعتقد بأنها كانت مشغولةً عنها في الفترة الأخيرة؛ مما جعلها تشعر بوحدة أكبر.

بدر: نعم، فهي تُجهز لزفافها.

الطبيب: أعتقد بأن لديها أصدقاء، هذا ما علمته من حديثي معها، لكن ربما هو غدر من أصدقاء قُدامى، أو أنها ليست مقربةً بما يكفي من صديقاتها.

بدر: وما الحل إذًا؟

الطبيب: هي تحتاج إلى سند حقيقي، عائلة مثلًا أو ربما صديقة تشاركها كل شيء، والأفضل أن تجد الحب، أعتقد بأن فتاة مثلها لم تتعرض للحب من قبل له تأثير من الجانب النفسي، ربما تصبح على ما يُرام إن وجدت مَن يكون لها بيتًا وسندًا حقيقيًّا.

بدر: فهمت إذًا.

الطبيب: هيَّا نذهب إليها، لقد أتى موعد الدواء.

بدر: حسنًا، سألحق بك أيها الطبيب، لكن رجاءً لا تخبرهم بحديثنا.

الطبيب: كما تشاء.

وصل الطبيب إلى غرفة "روز" واستأذن قائلًا: هل بإمكاني الدخول؟

روز: بالطبع، تفضَّل.

الطبيب: كيف حالك الآن؟

روز: أفضل، شكرًا لك.

الطبيب: لا شكر على واجب، فهذا هو عملي، هلَّا أخذتِ هذا الدواء الآن؟

روز: حسنًا.

علي: أريد أن أسألك سؤالًا -أيها الطبيب- رجاءً.

الطبيب: تفضَّل.

علي: هل بإمكان "روز" أن تأتي معي إلى الريف؛ لزيارة عمها؟ أم ستكون هناك مشكلة في السفر في ذلك الوقت؟

الطبيب: لا مطلقًا، سيكون السفر جيدًا؛ لتتحسن حالتها، فهواء الريف دائمًا مُنعش، أعتقد بأنه سيكون مناسبًا؛ لتهدأ حالتها.

علي: أشكرك أيها الطبيب.

الطبيب: عليَّ الذهاب، وسيكون بإمكانكِ الخروج اليوم في أي وقت، لقد كتبت لكِ إذنًا بالخروج، لكن لا تنسي، عليكِ بتناول وجبات كاملة، ولا بد من تناول الأكل جيدًا، وأخذ الدواء بانتظام.

روز: أشكرك مجددًا.

الطبيب: أتمنى لكِ الشفاء العاجل.

علي: لقد سمح لكِ الطبيب بالسفر، ستأتين معي، أليس كذلك؟

روز: سأقضي معكم خمسة أيام، وأعود لإكمال دراستي.

علي: لا بأس، يكفي أنكِ ستأتين.

مي: تُرى أين "بدر" كل هذا الوقت.

وكأن "بدر" قد سمعها حتى وجده الجميع يقف على باب الغرفة، ويطرق الباب ليستأذن بالدخول، وهو يحمل باقةً من زهور البنفسج، حتى أذنت له "روز" بالدخول، فوضع الزهور بجانبها وتبسم لها ابتسامةً جذابةً حتى وجدت شفتيها تبتسم بتلقائية إثر جمال بسمته.

بدر: حمدًا لله على سلامتكِ، آمُل أن تكوني بخير.

روز: بخير، هل هذا الورد لي؟

بدر مبتسمًا: وهل يمكن أن يُهدَى الورد سوى لورد مثله.

ابتسمت "روز" وقدَّمت له الشكر، بينما تدخَّل علي قائلًا: متى سنذهب؟

اعترض بدر حديثه قائلًا: إلى أين؟

فأجاب بابتسامة صفراء: سنذهب إلى منزلنا في الريف، ماذا هل ترغب بالمجيء وتخريب تلك النزهة اللطيفة.

بدر وقد تمالك نفسه: لن تذهب لأي مكان معك، أفهمت؟

مي: ألن تكفَّا عن الشِّجار قليلًا؟

روز متسائلة: مُنذ متى وهما على تلك الحال؟

مي: مُنذ التقيا وهما يتشاجران، بدأت عند خزينة المستشفى، ثم تشاجرا عند اختيار مَن سيبقى هنا بجوارِكِ حتى نام "بدر" هنا على الأريكة، وها هما الآن.. لا فائدة.

أصابت "روز" الدهشة من موقف "بدر" وأيضًا مما سمعته من مواقف سابقة، فهي لمْ تكن تعلم أنه سيتحول هكذا، فلقد كان يتحدث معها بلطف منذ أقل من دقيقة، كيف تحول من رجل لطيف إلى وحش عصبي، لكنها أدركت مؤخرًا أنها ربما الغيرة تلك مَن بإمكانها أن تحول الفراشة اللطيفة إلى صقر شرس، فقط إذا ذكر أحدهم اسم حبيبته تشتعل نيران وبراكين وزلازل تزلزل قلبه؛ حتى لا يدري ماذا يفعل، لكنه الحب يا عزيزي.

قاطع حديثهم دخول مفاجئ من صديقتها "رنا" بعد أن علمت بما حدث مؤخرًا، قد أتت لزيارتها للاطمئنان عليها، ومعها بعض صديقات الجامعة اللاتي تحبهن "روز".

رنا: آسفة على التأخير، فلم أعلم سوى اليوم حين حادثتكِ لنجلس سويًّا، فردت "مي" وأخبرتني بأنكِ هنا.

روز: لا بأس، أنا بخير.

ندى: حمدًا لله على سلامتكِ، أين هي "روز" صديقتي القوية؟ هيَّا انهضي.

روز مبتسمة: متعبة قليلًا الآن، لكنها ستعود قريبًا.

ندى: سأنتظرها حتى تعود ضحكاتنا معًا.

نور: كفاكما حديثًا، اتركا لي مجالًا لأُسلِّم عليها.

روز: اشتقت لكِ كثيرًا.

نور: وأنا أيضًا، واشتقت لكل شيء بيننا.

روز: وأنا كذلك يا عزيزتي.

نور: أخبريني ما خطبُكِ، ما سبب وجودكِ هنا؟

روز: بعض الأنيميا نتيجة عدم تناول الطعام جيدًا.

نور: هل تمزحين؟ إنها عيبة في حقي، كيف تكونين صديقتي ولا تأكلين جيدًا؟

وهنا اعترضت سارة قائلة: اخرجي فقط، وسنتولى نحن تلك المهمة ولن تدق الأنيميا بابكِ مجددًا.

ضحك الجميع، وهنا قاطع حديثهن "بدر" يستأذن بالذهاب.

بدر: لقد اطمئن قلبي عليكِ، عليَّ الذهاب، هيَّا يا "مي"؛ كي لا تأتي وحدكِ.

روز: أشكرك على كل شيء.

بدر: لا داعي للشكر.

روز: أشكركِ يا "مي" حقًّا من قلبي.

مي: لا بأس، سأحادثكِ؛ لأطمئن عليكِ لاحقًا.

غادر "بدر" و "مي" المستشفى، وقد بدا على "بدر" علامات القلق، فسألته مي: ما بك؟

بدر: أخشى أن يُسيطر "عليٌّ" على قلب "روز"؛ فتميل إليه.

مي: لا، أخبرتني "روز" من قبل بأنه مثل أخيها، لكن عليك أيضًا أن تسرع وتعترف لها بأنك تحبها قبل أن يأخذها هو منك.

بدر: أنتظر فرصةً مناسبةً فقط.

مي: هل ستظل تنتظر هكذا إلى أن يسبقك هو؟

بدر: لا، سأخبرها بعد عودتها مباشرةً.

مي: حسنًا، ولنرَ ما رأيها؟

سألت صديقاتها متى ستخرج من المستشفى، فأخبرتهن بأنها ستخرج بعد قليل، استأذن "عليٌّ" بالخروج والانتظار خارجًا حتى تنتهي من إعداد أغراضها، بدأت "نور" تساعدها على القيام والتمشي قليلًا في الغرفة، بينما رتبتْ لها "ندى" و "رنا" أشياءها، ودَّعَها الجميع وأخبروها بانتظارهم لها، وتمنوا لها قضاء وقت ممتع، أوصلها "عليٌّ" إلى منزلها؛ لتهدأ حتى الصباح ومن ثَمَّ تبدأ رحلتهما التي اتفقا على أن تبدأ في البكور؛ كي يصلا قبل غروب الشمس.

علي: سأمُر عليكِ غدًا باكرًا، وسأُحادثكِ قبل أن أصل بقليل؛ لتكوني مستعدة.

روز: بالطبع، لكن أريد منك طلبًا رجاءً.

علي: بالتأكيد، تفضَّلي.

روز: لقد تركتُ سيارتي عند الجامعة وبها أغراضي وحقائب السفر التي أعددتُها للزيارة، فهلَّا أخذت مفاتيحي وجئت لي بها.

علي: حسنًا، سآتي بها وأتركها هنا، استريحي أنتِ، وسأجلب إليكِ المفتاح غدًا؛ كي لا أُوقظكِ.

روز: أشكرك بشدة.

علي: لا داعي للشكر، أراكِ غدًا.

روز: إلى اللقاء.

بمجرد خروج "عليٍّ" وإغلاق الباب خلفه، ذهبت "روز" في نوم عميق حتى الصباح.

وفي البكور مرَّ "عليٌّ" ليصطحب "روز/" في رحلتها، ركبا السيارة واتجها إلى منزل العم.

استغرق الطريق على نحو ثلاث ساعات قضاها "عليٌّ" يتحدث ويمزح مُحاولًا إضحاك "روز"، وراح يحكي لها عن بعض الأماكن التي سيأخذها إليها لقضاء بعض الوقت، ثم أخبرها ببعض التغيرات التي طرأت على منزلهم القديم، وأخذ يُذكِّرها ببعض أيام الطفولة والأوقات التي قضتها معهم، حين كانت تُتاح لهم الفرص للقاء وقضاء الوقت معًا أيام الصبا، فسألته "روز" عن أختيه قائلة: كيف حال "أميرة" و"رولا" ؟

أجابها قائلًا: بخير.

روز: في أي مرحلة عمرية صارتا؟

علي: "أميرة" في بداية عِقدها الثاني، إنها في السنة الثانية لها بالجامعة، وهي متحمسة جدًّا لرؤيتكِ وقضاء الوقت معكِ، أمَّا عن "رولا" فلقد أوشكت على إنهاء دراستها مثلكِ وستتزوج قريبًا، لا بد لكِ من حضور حفلة زفافها.

روز: بالطبع، سآتي في زيارة أخرى حتى أحضرها.

علي: يا له من خبر سار! سيكون يومًا رائعًا.

صمت الاثنان لبعض الوقت، لم يكن لدى "روز" كلمات للتحدث بها، ثم إنها ما زالت تحاول الخروج من حالتها، لكن سؤال "عليّ" كان كفيلًا لجعلها تتحدث حينما قال لها:

- أخبريني روز، هل تفكرين في الزواج؟

نظرت إليه بغرابة وأجابت: لماذا تسأل هذا السؤال؟

علي: فتاة مثلكِ قد أوشكت على إنهاء دراستها والتخرج من الجامعة وتعيش منفردة، لماذا لم تُفكري في الزواج؟

روز متعجبة: ربما لأنني لمْ أجد ذلك الرجل الذي حلمت به، كما أن الوقت باكرًا لهذا.

علي: ليس باكرًا؛ فأنتِ في منتصف عقدكِ الثاني، وهذا هو الوقت المناسب.

روز: كل منا يقرر الوقت الذي يشاء فيه أن يخطو تلك الخطوة، وهذا الوقت لم يأنِ بعد.

علي: لكن الزواج سيكون أفضل لكِ من البقاء وحيدةً هكذا.

أوجعت تلك الكلمات قلب "روز"، فالوحدة حقًّا شيء مؤلم، لكن هل يجب عليها أن تسير في الطرقات باحثةً عن زوج يصلح لها؟ أم تخطو بيت أحدهم وتفرض عليه الزواج منها؟ ما تلك الأسئلة السخيفة التي يطرحها بعض الناس؟ ولِمَ يتدخل البعض فيما لا يعنيه؟ يا له من شيء مزعج!

صمتت "روز" ولم تُجب، فبعض الأسئلة لا تتطلب منا سوى التجاهل، فهذا هو الرد الأفضل لها على الإطلاق، لكن تخلل صمتها صوت عليٍّ قائلًا: هل شعرتِ يومًا بالحب تجاه أحدهم؟

أجابت روز بغضب: لا، ولا أريد التحدث في هذا الأمر.

علي: آسف حقًّا، لكنني لم أقصد إزعاجكِ بسؤالي، أردت فقط أن أتحدث معكِ وحسب.

روز: وهل هذا هو مجال الحديث الوحيد؟ بإمكانك التحدث في أي شيء آخر، فيا لكثرة الكلمات! لكن اترك مجال الحديث في هذا الأمر.

علي: أردت فقط إخبارك بأنه يا لَسعدِ حظه ذاك الذي سيفوز بقلبكِ! حقًّا أنتِ تستحقين كل خير.

روز: أشكرك، لكن لماذا لم تتزوج أنت؟ أعتقد بأنك ربما أوشكت على إنهاء عقدك الثاني، فلِمَ لا تسأل نفسك أنت هذا السؤال؟

علي: لأنني أعرف الإجابة، أردت أن أستمع إلى إجابتكِ أنتِ؟ لكن لا بأس سأخبركِ، في البداية أحببت فتاةً لمدة ثلاث سنوات، كانت كل شيء بالنسبة إلي، لم تكن مجرد فتاة عادية كالعابرات، الجميع عبر ورحل ولم أبالِ، وحدها عبرت فمزَّت من صميم قلبي، وحين رحلت رحل معها كل ألوان الحياة، وبقيتُ هنا وحدي أُحاول أن أنساها، كثرت المحاولات ومَرَّ الوقت حتى اعتدت على غيابها، لكن عاد كل شيء من جديد حين صادفت عيناها في طريقي ذات يوم، عاد الألم والوجع من جديد، وعُدت إلى حيث بدأ كل شيء، كأن ما مَرَّ من محاولات لنسيانها لم يكن.

روز مقاطعةً حديثه: أين هي الآن؟

علي: اكتمل كسر قلبي حين رأيتها ترتدي فستانها الأبيض الذي طالما حلمت أن أراها به، لكنه لم يمر بخاطري ولو للحظة أن أكون أحد المدعوين لحفل زفافها؛ لأراها ترقص وهي تمسك بيده وابتسامتها لم تفارق وجنتيها، إلَّا أن الدمع كان على وشك الهطول على خدَّيّ، فتركت الحفل ورحلت، رحلتُ وأنا أمسك بقلبي الذي كاد يتمزق إثر ما رأته عيناي.

لم أكن أعلم أن الشخص الذي كان الحياة بالنسبة لي هو ذاته الذي جعلني أكره الحياة وأعيش كالموتى، أدركت فقط حينها أن كم من ميت يحيى ويسير بجانبنا كل يوم! نصادفه في الطرقات وعلى المقاهي وفي كل مكان، يبدو مِثلنا، لكنه في الحقيقة ميت يحتضر؛ بسبب أمر مجهول علينا وحده مَن يعلمه.

روز: لقد تمزق قلبي عليك يا صاح.

علي: لمْ يعد لديَّ قلب؛ كي يشعر بعدها!

روز: لكن كيف تكبتُ كل هذا الألم بداخلك ولا تبوح به؟

علي: لمَن البوح؟ أبوح لأحدهم فيستمع إليَّ وبعدها أجدُني موضع حديث بين الجميع في اليوم التالي؟ لِمن البوح والجميع مزيف؟ حقًّا صدقَ مَن قال بأن كل منا فترات في حياة بعضنا، وأن لكل عزيزٍ غزيزٌ يقُصُّ عليه كل صغيرة وكبيرة، فرُبَّ عزيز عليَّ لديه مَن هو أعز مني؛ فيبوح إليه بسري، وأندم أنا لاحقًا.

روز: لا أصدِّق كلماتك هذه، أهذا هو "عليٌّ" ذو الشخصية المرحة؟

علي: أشعر وكأن كل ثقل العالم اجتمع في عضو ما بداخلي، مائل جهة اليسار قليلًا، صغير بحجم القبضة، أخبريني كيف له أن يكمن به كل هذا الثقل ولا يئن؟

روز: لا عليك، دَعك منها؛ فهي لا تستحق قلبك، وانتظر عوض الله؛ فإنه يسمع أنين قلبك ويرزقك بمَن هو أفضل منها.

علي: أنتظر هذا منه حقًّا.

روز مغيرةً مجرى الحديث محاولةً أن تمزح معه: أخبرني الآن هل كانت جميلةً مثلي؟

علي: قلبي عشق قلبها حتى أحب كل شيء بها، جمال وجهها لم يكن له مثيل، فقد كانت كبدر ليلة اكتماله، كانت جميلة الوجه حقًّا، أتدرين؟ لقد اكتشفت مؤخرًا أن جمال الوجه لا قيمة له حقًّا أمام جمال الروح ونقاء القلب، لكن مرآة الحب عمياء.

روز: يكفي حديثًا عنها، أتيقن بأن الله سيرزقك بمَن هي أفضل منها حتى أنك ستنسى مَن كانت.

علي: حسنًا، اتركي مجال الحديث هذا، وأخبريني مَن يكون هذا الشاب الذي تشاجر معي؟ ولِمَ يفعل كل هذا؟

روز: أتقصد "بدر"!

علي: نعم، أقصده هو.

روز: إنه أخ لصديقتي، أقرب صديقة لي بالجامعة، قضيت يومًا عندهم يوم خِطبتها، وخرجنا معًا لشراء بعض الملابس، ربما لهذا السبب، بالإضافة لأن طبعه هكذا، فهو رجل بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.

علي: لكن ما فعله لم يكن لهذا السبب.

روز: ماذا تقصد؟

علي: أنا على دراية بأفعال الشباب وتصرفاتهم تلك أكثر منكِ، ثم إن ما بدا منه كان واضحًا بما يكفي لأن يعلمه أي أحد.

روز: هلَّا وضحت لي ماذا تعني؟

علي: ما بدا من "بدر" لم يكن إلَّا حبًّا.

روز: ماذا؟

علي: مثل ما أخبرتكِ، لقد كان حبًّا، قد تجاوز كل مراحل الإعجاب وتوغل حتى وصل لدرجة من الحب، ألم ترَي كيف كان يتجادل معي؟ ولمْ يهدأ حتى دفع لكِ كل تكاليف المستشفى، حتى أنه قد أقام ليلةً في المستشفى معنا حتى يطمئن عليكِ، وكان قلقًا بشأن مبيتي معكِ وحدي، وأخيرًا لقد شعرتُ به قائمًا طوال الليل يدعو الله لكِ بالشفاء، ولم ينَم إلَّا سويعات قليلة.

روز متعجبة: هل فعل كل هذا لأجلي؟

علي: وربما نسيت بعض الأشياء، كما أنه وصل باكرًا وقد تأخرت أنا، وحين وصلت وجدته يقف وقد بدا عليه الكثير من القلق بشأنكِ.

ابتسمت "روز" ابتسامةً خفيفة، لكنها شعرت وكأن قلبها يخفق من السعادة، فما أجمل أن يشعر المرء منا بأن أحدهم يحبه إلى هذا الحد!

علي: أرى أنكِ سعيدة بهذا.

روز: توقف عن هذا.

علي: سعيدة، تبدين سعيدةً حتى أن خدَّيكِ من شدة الحمرة قد بديا كأن قطعةً من الياقوت الأحمر قد ذابت عليهما، حتى تشعشع اللون قاطبة الخد، فأتمنى لكِ حقًّا أن يكون هذا هو الحب الذي تستحقينه.

روز بخجل: لماذا كنت تتشاجر معه إذًا؟

علي: في البداية، لمْ أكن أعلم مَن هو، ولمَ يفعل هذا، ولمَّا أدركت أنه لا يُهمه أحد سواكِ كان لا بُدَّ أن أتأكد من أنه يحبكِ.

روز مُغيرةً مجرى الحديث: هل ما زال يتبقى الكثير كي نصل؟

علي: إلى أين؟ إلى قلبه!

روز بخجل: ألن تتوقف عن هذا الأمر؟

علي: حسنًا، يكفي عليكِ هذا، لقد تبقى القليل ونصل.

روز: أخبرني حين نصل إذًا.

وضعت "روز" رأسها قرب النافذة، وراحت تنظر إلى الطريق المليء بالخضرة والمناظر الجذابة، فهي تحب هذا الجو كثيرًا، يبدو أن هذا المكان سيكون كفيلًا لجعلها أفضل، أشاحت بنظرها بعيدًا وأخذت تفكر في كلمات "عليٍّ" تلك، يبدو أنها بدأت تُفكر قليلًا في "بدر" وكأن تلك هي المرة الأولى التي يخفق فيها قلبها، لكن القلق ما زال يعتريها بعض الشيء، فهي تخشى الفراق، كما تخشى أن يسكن الحب قلبها؛ حتى لا تتألم بعد ذلك، أرادت أن تتأكد من حبه بنفسها، لكن تُرى ماذا تفعل؟ وهل "مي" على عِلْم بهذا الأمر؟ ظلت تفكر هكذا حتى "عليٌّ" حبل أفكارها وهو يقول:

- روز!

روز: "عليّ"، هل تتحدث إليَّ؟

علي: نعم، ألم تنتبهي إلى كلماتي؟!

روز: لا، أعذرني، لقد كنت أفكر قليلًا؛ فلم أنتبه لك.

علي: لا بأس، كنت أقول بأننا صِرنا على مشارف البلدة.

روز: جميل جدًّا، إن المكان هنا جميل للغاية، وله سِحره الخاص، حتى الجو يختلف كثيرًا عن المدينة؛ فهذا الهواء منعش، أعتقد بأنني سأستمتع بوقتي هنا.

علي: هذا أمر مفروغ منه، إن المكان هنا يجذب الجميع، كما أن الحنين سيأخذكِ إلى ذكرياتكِ القديمة هنا.

روز وهي تنظر من النافذة: انتظر هنا رجاءً، أود أن أشتري بعض الهدايا البسيطة لهم.

علي: لا داعيَ لهذا.

روز: من فضلك انتظر، ولن أتأخر.

علي: حسنًا، لكن لا بد أن آتي معكِ، لن أتركك تذهبين وحدك.

روز: حسنًا أوافق، هيَّا توقف قبل أن نتجاوز المكان.

أوقف عليٌّ السيارة ونزلا معًا؛ لشراء بعض الهدايا، أُعجِب "عليٌّ" بفن "روز" في اختيار الهدايا، فلقد اختارت هدايا بسيطةً إلَّا أن كل هدية مناسبة جدًّا لصاحبها، حتى أنها رغم بساطتها كفيلة بإسعاد صاحبها، عادا إلى السيارة وأكملا طريقهما حتى وصلا إلى المنزل، وقد وجدا الجميع بانتظارهما.

بدأ الترحيب الحار بقدوم "روز"، فالجميع يحبها منذ الصغر خاصةً بنتَي عمها، فعندما رأتها "رولا" أطلقت صرخةً إثر فرحتها بقدومها واحتضنتها بشدة، بينما عانقتها "أميرة" باشتياق كبير، ثم راحت "روز" تقدِّم الهدايا كل هدية لصاحبها.

بدت السعادة على وجوه الجميع، وظهرتْ علامات البهجة عندما فتح كل منهم هديته ووجد شيئًا يحتاجه حقًّا، جلس الجميع يتحدثون مع "روز" عن حالها، وكيف هي الحياة في المدينة، ودارت محادثات كثيرة بينهم.

العم: كيف حالكِ الآن عزيزتي؟

روز: بخير ما دمتم بخير يا عمي.

العم: هل أزعجكِ "عليٌّ" في الطريق بكلماته تلك كعادته؟

روز ضاحكة: قليلًا، لكن لا بأس.

علي: وهل أزعجتكِ إذًا؟

روز: نعم، أزعجتني كثيرًا.

علي: كثيرًا؟! لا تصدِّقها، إنها تمزح.

روز: حسنًا لا تنزعج، لقد كنت أمزح فحسب.

العم: أخبرينا بالحقيقة، لا تخافي؛ فلن يستطيع أن يفعل لكِ شيئًا طالما أنا هنا.

روز: أطال الله عمرك يا عمي.

العمة: هكذا هما منذ الصغر، لم يكفا عن الشجار والمجادلة.

علت صوت ضحكات الجميع، وطلب العم من بناته أن يأخذن "روز"؛ لتشاهد غرفتها حتى تنتهي العمة من إعداد مائدة الطعام، بالفعل صعدت "روز" ومعها بنتا عمها إلى الطابق العلوي، حيث توجد غرفة النوم الخاصة بهما.

دخلت إلى الغرفة فوجدت بها شُرفةً كبيرة، أخبرتها "أميرة" بأن تنظر من خلالها، فهي تطل على منظر رائع، اقتربت "روز" من النافذة وراحت تنظر من خلالها، فسحرها جمال الطبيعة، فلقد كانت تطل على مشهد مُذهل حقًّا، لم تُبالغ "أميرة" حينما قالت هذا، وهل هناك أروع من النظر إلى بستان من الورد والعشب الأخضر الذي يُهدئ أعصاب الناظر مع صوت العصافير الهادئ في كل صباح وعند الغروب؟! ويا لجمال الطيور وهي تطير في صفوف متراصة كأنها تدور! شعرت "روز" بأنها تود لو بقيت تنظر هكذا حتى الليل، لكن أميرة قاطعت اندماجها قائلة: "روز"، هيَّا أفيقي، ولنبدأ بترتيب الأغراض.

بدأت "أميرة" و "رولا" تساعدانها في إخراج أغراضها من الحقائب وترتيبها في خزانتها الخاصة بها، وبعد أن انتهيت الفتيات رُحن يتحدثن مع روز فقالت روز متسائلة:

- أخبرني "عليٌّ" بأنه قد تمت خطبتكِ، مبارك عليكِ؟ كم كنت أتمنى أن أكون هنا!

رولا: وأنا أيضًا، لكن لا بأس، بالطبع ستكونين هنا في حفلة الزفاف.

روز: بالتأكيد، سآتي خصيصًا إليك.

صرخت رولا فرحةً قائلة: سيكون يومًا رائعًا؛ لكن هل لي بطلب؟

روز: بالطبع، أخبريني.

رولا: علمت بأنكِ تستطيعين تزيين المنزل بطريقة مبهرة خاصةً في الحفلات، فهلَّا فعلتِ ذلك لأجلي؟ فأنا أريد أن يكون يومًا هنا في المنزل لنا ولأصدقائي قبل يوم العُرس.

روز دون تردد: بالطبع، فنحن أخوات، أليس كذلك؟

رولا: هذا أمر مفروغ منه، أحبكِ كثيرًا، شكرًا لكِ.

روز: هل لي أنا بطلب صغير؟

رولا: اطلبي عيني يا جميلتي.

روز: لا أُفضِّل أبدًا المعاملات الرسمية خاصةً مع مَن أحب، إن أردتِ شيئًا بعد ذلك، فأخبريني دون تردد ولا داعيَ للشكر، هل اتفقنا؟

رولا: وأنا أيضًا مثلكِ، حسنًا اتفقنا يا أختي.

روز: أخبراني إذًا أين سريري؟

رولا: ستنامين هنا على السرير الخاص ب "أميرة"، وستنام هي بجواري.

روز: يبدو أنها متزعجة؛ لأنني سآخذ مكانها.

رولا: لا، إنها مَن اقترحت تلك الفكرة، فهي تحبكِ كثيرًا.

روز: إذًا لماذا لا تخبرني هي؟

أميرة: ليس بإمكاني التعبير كثيرًا، لكن فرحتي بقدومكِ لا تُوصَف.

رولا: لا تصدقي هدوءها هذا، فإنها مجنونة، لكن يبدو أنها خجولة قليلًا.

روز: وأنا أحب المجانين وأحبها، لكن أتخجل مني؟

أميرة: وأنا أحبكِ كثيرًا، لا، فقط قليلًا، ربما لأننا لم نجلس معًا منذ وقت طويل، لكن بمرور بعض الوقت ستملّين مني.

رولا: حقًّا، إنها تحبكِ كثيرًا، لقد كانت تنظر إلى الساعة طوال الوقت مُترقبةً قدومكِ، لكنها لا تُجيد التعبير عمَّا بداخلها أحيانًا فاعذريها، وكما قالت لكِ بمجرد مرور الليلة فقط انظري كمْ ستتحول إلى كائن مزعج.

روز: لا بأس، فأنا أيضًا أتحول إلى فتاة هادئة مثلها ولا أجيد التعبير في بعض الوقت، لكن ليس مع أخواتي، أليس كذلك يا ميرا؟

أميرة: نعم، بالطبع يا أختي.

روز: هيَّا، أريد أن أرى "أميرة" المزعجة.

أوقف حديثهن صوت العمة تنادي للطعام، فأنهت الفتيات حديثهن ونزلن أسفل الدرج لتناول الطعام.

العمة: أريدكِ أن تتذوقي طعامي يا "روز" وتخبرني رأيكِ.

روز: بالطبع سيكون شهيًّا، لا شك في هذا.

العم: إن طعامك شهيًّا يا عزيزتي، لكنكِ لم تتذوقي طعام "روز".

روز: لن يكون أفضل من طعام العمة بالطبع.

العم بصوت خافت: بل كان مذاقه الأروع، لكن لنصمت حتى لا تقتلنا عمتكِ.

ابتسمت العمة وقالت: يبدو أنك ستنام خارجًا تلك الليلة.

فأجاب العم: مَن قال منكم أنه يوجد أفضل من طعام العمة؟ إن مذاقه فريد من نوعه، يذوب هكذا في الفم كأن طاهيةً محترفةً هي مَن صنعته.

ضحك الجميع وبدأوا بتناول الطعام، ولما انتهوا قامت الفتيات بمساعدة العمة في ترتيب المطبخ وإعداد بعض الشاي، استأذنت "روز" لتصعد الدرج؛ حتى تأخذ الدواء الخاص بها، وطلبت من "أميرة" أن تجلب لها كوب الشاي الخاص بها؛ لتحتسيه في الشرفة.

لم يمر الكثير حتى صعدت "أميرة" ومعها الشاي، وجلست بجوارها في الشرفة تحتسيان الشاي على ضي القمر، وبدأتا التحدث.

روز: أحب هذا الجو كثيرًا، ما أجمل أن تحتسي كوب الشاي الخاص بكِ بهدوء هكذا على ضيّ القمر، في شرفة تطل على مثل هذا المشهد الرائع!

أميرة: إنه لشيء رائع حقًّا.

روز: أشعر وكأنكِ تخفين شيئًا، هل أنتِ بخير؟

أميرة: لمَ تقولين هذا؟

روز: لقد تربينا معًا وقضينا وقتًا ليس بقصير هنا قبل أن ننتقل إلى منزلنا الجديد في المدينة، كما أننا متقاربتان في السن؛ فليس من الصعب عليَّ أن أشعر بكِ.

أميرة: لا أعلم، ربما أحتاج للخروج والمرح قليلًا.

روز: حسنًا يا عزيزتي، سنخرج غدًا جميعًا، واليوم سنجلس معًا نتحدث أو ربما نشاهد التلفاز سويًّا ونقضي وقتًا لطيفًا، لكن نصيحة من أختكِ الكبرى؛ حتى لا تتألمي مثلي دون داعٍ، عليكِ أن تأخذي الأمور ببساطة شديدة، نحن نعيش في هذه الدنيا لمرة واحدة وسنفنى بعد ذلك، مما لا شك فيه أن هناك وقتًا عسيرًا سيمر علينا، لكن الذكي مَن يحوّل كل عسير لأمر يسير، فكل شيء قد كُتِب لنا، والعمر لحظة علينا أن نعيشها كما يجب، ولا داعيَ لتعقيد الأمور، هل فهمتِ؟

أميرة: نعم فهمت، لكن الأمر ليس بيدي.

روز: أعلم يا عزيزتي، ولا بيدي أيضًا، فأنا أشد تعقيدًا منكِ، لكن ما رأيكِ أن نبدأ معًا ونأخذ أمورنا ببساطة أكبر؛ حتى لا نُتعب قلوبنا؟

أميرة: موافقة، لنحاول معًا، وإن رأى أحد منا الآخر في ضيق فليحاول تذكيره بهذا، ولنساند بعضنا؛ حتى نتجاوز كل شيء.

روز: بالطبع.

أميرة: هيَّا لننزل ونجلس معهم قليلًا.

روز: هيَّا بنا.

نزلت الفتاتان فوجدتا العم والعمة يجلسان أمام التلفاز، بينما كان "عليٌّ" و "رولا" يُمسكان جوالهما، فطلبت "روز" منهما أن يغلقا الهواتف؛ لتجتمع الأُسرة على شيء واحد، فهذا الجمع لن يتكرر كثيرًا.

وافق الجميع وجلسوا يشاهدون إحدى المسرحيات القديمة، علت أصوات الضحكات والأحاديث بينهم، ومرَّ الوقت سريعًا، حتى بدأ التثاؤب يقتحم المكان، وشعر الجميع بالنعاس، وهنا استأذنوا واحدًا تلو الآخر، الأكبر فالأصغر، حتى صعد الجميع للنوم، بمجرد ما وضعت "روز" رأسها على الوسادة حتى ذهبت إلى النوم، ولم تشعر بشيء سوى في الصباح.

استيقظت "روز" على صوت زقزقة العصافير وتغريد الطيور معلنةً بداية يوم جديد في مكان جديد، يختلف كثيرًا عما اعتادت عليه، إنه الريف، حيث يكمن الهدوء وراحة البال بعيدًا عن ضوضاء المدينة وازدحام الطرقات، هنا حيث المكان المنعش والهواء النقي، بعيدًا عن هواء المدينة المختلط بعوادم السيارات.

بدأت "روز" يومها بنشاط شديد ورغبة في الحياة بكل معانيها على غير عادتها، نهضت من فراشها وقامت بترتيبه، ثم خرجت تنظر من الشرفة، التي يبدو أن إحداهن استيقظ باكرًا وقام بفتحها، وقفت "روز" قليلًا في الشرفة تتأمل جمال المكان، فوجدت "أميرة" تدخل من الباب وتتجه نحوها قائلة:

- صباح الخير يا أختي.

ابتسمت "روز"، فتلك هي أول مرة تستيقظ فتجد مَن بجوارها، كما أن كلمة أختي تلك تجعل عينيها تفيض بالدمع، لكنها تجاهلت ذلك الأمر، وأجابت قائلة:

- صباح الخير والسعادة على أجمل فتاة.

أميرة: مِن بَعدكِ بالطبع يا عزيزتي.

روز: لا، بل أنتِ الأجمل يا قلب عزيزتكِ.

احمرت وجنتاها معلنةً خجلها، فقالت بهدوء: الفطور جاهز، ونحن ننتظركِ.

روز: لكن مَن أعده؟

أميرة: أنا و"رولا" وأمي.

روز: لِمَاذا لم يوقظني أحد؟

أميرة: أردنا أن نتركِكِ؛ لتحصلي على الراحة الكافية، فلقد أخبرنا "عليٌّ" بأنكِ كنتِ في المشفى.

روز: لكنني بخير الآن، غدًا أنا مَن ستُعِد الفطور.

أميرة: عليكِ أن تخبري أمي بهذا الأمر.

روز: وهل بإمكانها أن تمانع؟ سأنزل وأخبرها.

نزلت "روز" وتبعتها "أميرة" حتى وصلت إلى مائدة الطعام، فرأت العم يجلس منتظرًا حضور الجميع، فقالت روز:

- صباح الخير يا عمي.

العم: صباح الخير يا ابنتي.

روز متسائلة: لكن أين العمة؟

العم: إنها بالداخل تُعد الفطور.

دخلت "روز" إلى المطبخ وهي تنادي على العمة قائلة:

- لماذا لم يوقظني أحد لإعداد الطعام؟

أميرة: إن روز حزينة يا أمي؛ لأننا لم نوقظها.

العمة: لقد أردنا لكِ الراحة يا بُنيتي.

روز: أنا بخير، أريد أن أشارك معكن في كل الأعمال المنزلية في الفترة التي سوف أقضيها معكم هنا.

العمة: لكنكِ هنا للراحة وليس العمل.

رولا مازحة: وهل يفضِّل أحد الأعمال المنزلية على الراحة والنوم؟ اتركوني فقط أنام، ولا شأن لكم بي.

روز: لديَّ فكرة، ما رأيكن أن نتشارك العمل، كل يوم يأتي دور أحدنا في الطهي مثلًا ويحكم الباقون عليه؟

العمة: موافقة، لكن طهوي هو الأفضل.

أميرة: ونحن أخذنا الخبرة منكِ.

رولا: اتفقنا، ولنرَ مَن الأفضل.

العم مقاطعًا: أين الطعام، نريد أن ناكل يا طباخات المستقبل.

أسرعن يرتبن مائدة الطعام، جلس الجميع حول المائدة لتناول الإفطار، وبعد الانتهاء أخبر العم الفتيات بأن يأخذن "روز" في زيارة في أنحاء البلدة، ورشح لهن بعض الأماكن المناسبة التي ربما تُعجَب بها.

أسرعت الفتيات يرتدين ملابسهن، وخرجن يتجولن حول البلدة، رأت "روز" مكانًا كالبستان كانت تحب الجلوس فيه قديمًا، فأسرعت بالدخول إليه وتبعتها الفتاتان، جلسن يشاهدن جمال الطبيعة في هدوء، واقترحت "رولا" الذهاب لشراء بعض المُثلجات للجميع، فرجَّحن ذلك.

ذهبت "رولا" لشراء المُثلجات، وبينما هي في طريقها للعودة؛ إذ رأت من بعيد طفلًا يجلس وحده ويبكي، عادت إلى الفتيات وأخبرتهن بما رأت، فطلبت منها "روز" أن تصحبها إلى حيث رأته، فأشارت لها إلى حيث يجلس، ثم طلبت منهما أن ينتظراها بعيدًا، ذهبت إليه وسألته عما به.

روز: يا لك من طفل جميل! لماذا تبكي يا صغيري؟

الطفل وهو يبكي: لا أجد والدتي.

روز: أين تركتها؟

الطفل: كنا نجلس عند شجرة كبيرة، ورأيت بائع المُثلجات وهو يُصدر موسيقى من عربته، فتبعته ولا أدري أين أمي.

روز: وهل تحب المُثلجات؟

الطفل: نعم، كثيرًا.

روز: هيَّا تفضَّل، كُلْ هذه حتى نجد أمك، وأخبرني ما اسمك؟

الطفل وقد بدأ يأكل المُثلجات: اسمي "حسن".

روز: تعالَ معي يا "حسن"؛ لنبحث عن والدتك.

أخذتْ "روز" الطفل وذهبت به إلى ابنتَي عمها وأخبرتهما بما حدث، وطلبت منهما أن تتجه كل واحدة إلى مكان وتبحث معها عن والدة الطفل، تحركن سريعًا ورُحن يبحثن عن الأم، وكتبت "روز" لافتات مكتوب فيها:

"لقد وجدتُ طفلًا تائهًا، على مَن فقدت طفلها الاتصال على هذا الرقم" وكتبت رقم هاتفها وأخذت تُعلقها على كل مكان تمر به، كما طلبت من حارس البوابة أن يخبرها إن سألت إحداهن عن ابنها.

بحثت الفتيات عن الأم في كل مكان، وأحضرن للطفل بعض الطعام والشراب، وجلسن ليسترحن قليلًا من التعب؛ فوجدت "روز" رقمًا يتصل على هاتفها، ولما أجابت وجدت إحداهن تبكي وتخبرها بأنها والدة الطفل، فأخبرتها بأنها قادمة إليها.

ذهبت "روز" إلى مكان الأم تاركةً الطفل يأكل مع ابنتَي عمها، ولما وصلت إلى الأم سألتها عن مواصفات ابنها قائلة: صفيه لي، ماذا كان يرتدي؟ وما اسمه؟

الأم: وهل وجدتِه؟

روز: نعم، لقد وجدتُ طفلًا تائهًا، لكن عليَّ أن أتأكد بأنكِ والدته.

الأم: اسمه "حسن"، وهو يرتدي قميصًا أصفر اللون وبه خطوط برتقالية صغيرة.

روز: إنه هو، تعالي معي.

أخذت الأم وذهبت بها إلى حيث يجلس الطفل، فراحت الأم تحتضن طفلها وتشكرها على ما فعلت قائلة: لا أعلم كيف لي أن أشكركِ، لولاكِ لما وجدته.

روز: لا داعيَ للشكر، فقط اذكريني بدعوة كلما خطرتُ ببالكِ.

الأم: رزقكِ الله ما تتمنين وبارك فيكِ.

ذهبت الأم، وخرجت "روز" ومعها بنتَي عمها من المكان، استأذنت "رولا" بالمغادرة إلى المنزل، وأكملت "روز" و "أميرة" النزهة، وبعد أن أكملتا السير لنصف ساعة أو ربما أكثر شعرتا بالعطش، فذهبتا لشراء بعض العصير، دخلت "روز" لتجلبه من الداخل، بينما وقفت "أميرة" تنتظرها بالقرب من المكان.

وبينما كانت تنتظر مجيئها إذ رأت شابًّا ينظر إليها من بعيد وكأنه يعرفها جيدًا، أشاحت بنظرها بعيدًا عنه سريعًا، لكنه تعمَّد القرب حتى اقترب منها قائلًا بعض الكلمات التي لم تسمعها جيدًا، فلقد كان يتحدث بها وكأنه يتحدث بالهاتف مارًّا بجوارها حتى ابتعد قليلًا عنها.

خرجت "روز" وبيدها العصير، وقد أخذت واحدًا وهمَّت بإعطاء "أميرة" الآخر، فوجدتها تقف هكذا وكأن ثعبانًا قد لدغها، فسألتها ما بكِ؟

أميرة: هذا الشاب هناك، اقترب مني مهمهمًا بكلمات غريبة لم أفهم منها شيئًا، ولم أسمع منها سوى كلمة أو كلمتين لم أفهم ماذا يقصد بهما.

روز: مثل ماذا؟

أميرة: كان يقول كلمات غريبة مثل أنتِ وأنا، سأخطفكِ من بيتكِ، سأقتله... لم أسمع منه سوى تلك الكلمات غير المرتبة.

روز: هل سبقت لكِ رؤيته؟

أميرة: لا، فقط مرة واحدة حين تعرَّض لي شابًّا غريب الشكل بكلمات بذيئة، فقام بالدفاع عني والرد عليه.

روز: لا داعيَ للقلق إذًا؛ فلن يؤذيكِ.

أميرة: وما أدراكِ؟

روز: إن كان قد دافع عنكِ من قبل؛ فلن يؤذيكِ.

أميرة: لا أعلم، فلقد كان قاطبًا جبينه، غاضب الوجه، صارم، ثائر غضبه وكأن أحدهم أخذ منه شيئًا هكذا عنوة.

روز: مما لا شك فيه إنه الحب -يا عزيزتي- قادر على نزع الثبات من شاب لا يُعكِّر صوفه أحد، وعلى إيقاد نيران وثورات بمن اتصف بالهدوء الدائم، وعلى كثرة حديث من كثر صمته بين الآخرين، وحده الحب قادر على تغيير المرء منا من حال إلى أخرى دون شعور، وإنا لقادرون على حمل أثقال بالحب لا نحملها فُرادَى، قادرون على التغيير بشكل كُليّ وجزئيّ به، إن سلاح الحب لفاعلٌ بنا ما لا يفعله سلاح الحرب، وإن ألمه أشد مُرًّا من العلقم، لا أقول لكِ بأن الحب سيء، لكن عليكِ توخي الحذر جيدًا قبل أن تُهدي أحدهم قلبكِ على طبق من ذهب؛ فيسرقه ويدهس قلبكِ أسفل نعليه، وتصبحين ضحيةً من بعده كارهةً الحب ومَن أحببتِ.

أميرة: لكن، كيف لي أن أتأكد من ذلك؟

روز: مَن يحبكِ حقًّا سيأتي ساعيًا إليكِ، طارقًا باب منزلكِ، طالبًا مقابلة والدكِ، راجيًا قلبكِ.

أميرة: صدقتِ.

روز: إذًا هيَّا لنعود إلى المنزل.

أميرة: هيَّا بنا.

عادت الفتاتان ووجدتا "رولا" قد بدأت في إعداد طعام الغداء، فجلست "روز" قليلًا لتلتقط أنفاسها، ثم بدأت تساعد في إعداد الطعام، بينما صعدت "أميرة" إلى الطابق العلوي لجلب بعض الأشياء، ثم سُرعان ما عادت وراح الجميع يُعدون الطعام حتى بدأت رائحة الطهي تغزو المكان، استغرق ذلك منهم وقتًا قصيرًا، فما أحلى العمل الجماعي!

جلس الجميع حول المائدة ولاحظوا تأخر "عليّ" عن الطعام، وبعد انتهائهم وجدوا أنه لم يأتِ بعد، بحثوا عنه في كل مكان، لكنه بالفعل لم يكن موجودًا في المنزل على الإطلاق، كما أن هاتفه كان موصدًا، انتظروا مجيئه، لكنه تأخر على غير عادته.

قرُب منتصف الليل حيث كان يجلس الجميع قلقًا بشأنه، إذ وجدوا مَن يطرق بابهم؛ فأسرع العم ليرى مَن بالباب، فوجده "عليٌّ" وقد جاء مُتكئًا على صديق له، وقد بدا عليه علامات التعب والإرهاق، سارعوا بمساعدته للجلوس على الأريكة وأحضرت "روز" لهما بعض الماء والعصير.

بدأ صديقه يحكي لهم -بعدما التقط أنفاسه وهدأ قليلًا- قائلًا:

- بعدما أنهينا العمل وركبنا السيارة، وبادر "عليٌّ" بالقيادة حتى نعود قبل غروب الشمس، بينما كنا في الطريق؛ إذ وجد "عليٌّ" شابًّا صغيرًا كان يعبر الطريق فجأة، ولتفاديه قام بتغيير مساره حتى اصطدم، لكن لحُسن حظه أن الصدمة لم تُصِب رأسه، بل أُصيب ببعض الكدمات في يديه.

العم: نحمد الله على كل شيء، كيف أنت يا "عليَّ" الآن؟

علي: بخير يا أبي؛ لكن أخبرني الطبيب بأنه لا يمكنني القيادة في تلك الأيام؛ حتى تتحسن حالتي.

العم: لا بأس عليك، فقط عليك أن تستريح لبعض الوقت.

علي: سأطلب من العمل أن يمنحني إجازة بعض الوقت؛ حتى أصبح بخير.

العم: أشكرك جدًّا يا بني؛ لأنك جلبته إلى هنا.

- لا شكر على واجب يا عمي، إن "عليّ" أكثر من صديق لي، فهو بمثابة أخ وربما أكثر، ربما حان الوقت الآن للرحيل، سأطمئن عليك لاحقًا يا "عليّ".

العم: لقد تأخر الوقت، يمكننك أن تستريح هنا مع "عليّ" في غرفته، إنه ينام وحده في هذا الطابق فلا تقلق، ثم يمكنك أن ترحل وقتما تشاء.

- لا أريد إزعاجك، سأرحل لا بأس، سررت كثيرًا بلقائك يا عمي، والآن إلى اللقاء.

العم: يمكنك زيارتنا في أي وقت، شكرًا لك مجددًا.

علي متوجعًا: سأذهب للنوم يا أبي؛ فأنا متعب كثيرًا.

العم: سأكون بجانبك الليلة، فليصعد الجميع للنوم، وأنا سأبقى هنا.

العمة: سأكون معكما هنا أيضًا.

العم: لا، استريحي أنتِ في الأعلى؛ فلا يوجد سبب لكونكِ هنا، سأبقى أنا معه، هيَّا اصعدي.

صعد الجميع للنوم كعادتهم في الأعلى، وذهب كل منهم إلى فراشه للنوم، وبعد قليل شعرت "روز" بصوت في الشرفة، فقامت من فراشها وذهبت لترى مَن بالخارج، فوجدتها "أميرة" وحدها، فسألتها قائلة:

- لماذا تجلسين وحدكِ هنا؟

أميرة: لا أعلم، لا أريد النوم الآن.

روز: فيمَ تفكرين؟

أميرة: أفكر فيما حدث في الصباح، أقصد ذاك الشاب، حديثكِ معي.. لا أعلم.

روز: هل دقَّ قلبكِ له؟

أميرة: يبدو الأمر كذلك، لكنني أخشى الألم.

روز: اسمعيني جيدًا، مَن يحبكِ بصدق لن يسمح للحزن والألم أن يتسللا لقلبكِ، فقط مَن يحبكِ بصدق، وتذكّري تلك الكلمات.

أميرة: فهمت.

روز: هيَّا؛ لنذهب للنوم.

أميرة: "روز".

التفتت إليها روز قائلة: نعم!

أميرة: أحبكِ كثيرًا، شكرًا لوجودكِ معي وشعورك بي.

روز: إن كنت أشعر بالغريب عني وأكون بجانبه، فكيف لي ألَّا أشعر بقطعة مني وأساندها!

أميرة: أنتِ جميلة جدًّا حقًّا، جميلة القلب والروح بالإضافة لجمال وجهكِ.

روز: الجمال الحقيقي ينبع من داخلنا، أما عن مظاهرنا وصورنا فنحن لم نختر منها شيئًا، هي من صنع الله، وكل ما خلق الله جميل، أما الجمال الداخلي فهو بيدنا نحن، نحن مَن نصنع للمكان مكانة، نحن مَن نبث البهجة في القلوب، نحن مَن نختر انطباعنا وشخصياتنا وتعاملاتنا.

أميرة: كلامكِ هذا جميل أيضًا.

روز: سلمتِ.

أميرة: سأنزل؛ لأطمئن علَى "عليّ".

روز: حسنًا، سأنتظركِ هنا؛ لأطمئن عليه أيضًا.

نزلت أميرة فوجدت "عليّ" نائمًا وبحال جيدة، فعادت وأخبرت "روز" ثم ذهبتا في النوم.

وفي صباح اليوم التالي..

رولا: "روز" هيَّا استيقظي، كفاكِ نومًا.

روز: صباح الخير "رولا".

رولا: صباحكِ يشبه روحكِ روزتي، أود إخبارك بشيء.

رولا: "روز"، هيَّا أفيقي.

روز: ها! هل تنادين عليَّ؟

رولا: ماذا دهاكِ؟ هل أنتِ بخير؟ أحادثكِ ولا تجيبين؟

روز: نعم بخير، لكنه هو... أقصد الحلم، هل أردتِ شيئًا؟

رولا: نعم، أحتاج مساعدتكِ رجاءً.

روز: لا عليكِ، كيف أساعدكِ؟

رولا: أريد منكِ أن تأتي معي للتسوق، أود أن تشاركيني رأيكِ في فستاني الجديد، سأرتديه في حفلة التخرج، وربما أشتري بعض الأشياء أيضًا الخاصة بمنزلي الجديد.

روز: يا لها من مناسبة رائعة عزيزتي! حسنًا لنذهب اليوم في الخامسة.

رولا: حسنًا، هيَّا نتزل الآن؛ لنُعد الطعام.

روز: سأتبعكِ.

وبعد انتهاء الأعمال الروتينية من تناول الفطور وترتيب البيت خرجت الفتاتان كما خططتا.

استغرق الطريق بعض الوقت حتى وصلتا إلى المكان، لكن مما لا شك فيه أن الوقت يمر سريعًا حين نكون برفقة أشخاص نحبهم، وقتها يمر الوقت كالبرق ولا نشعر به.

رولا: هيَّا يا "روز"، هذا هو المكان.

روز: يبدو جميلًا جدًّا، لندخل إذًا.

رولا: سأجربه وأخرج سريعًا.

روز: وأنا سأتجول في المكان قليلًا.

بينما كانت "روز" تتجول في محل الأزياء رأت ما لم تتوقعه عينها أن تراه في تلك الأثناء، أتُعقل تلك الصدف السعيدة؟! حقًّا "رُبَّ صدفةٍ خيرٌ من ألف ميعاد". لكن هل من الممكن أن يكونا هما؟ وجدت الفتاتان تقتربان منها حتى تيقنت بأن ما رأته كان حقيقة.

روز: لا أصدق عينَيَّ، لقد اشتقت إليكما كثيرًا، لم أكن أعلم أننا سنلتقي بعد كل تلك السنوات، لقد مررتما بخاطري وقررت أن آتي لزيارتكما قريبًا، كيف حالكِ يا "ضحى"؟ وكيف أنتِ يا "مريم"؟ ممتنة جدًّا لتلك الصدفة التي جمعتنا.

ضحى: اشتقت إليكِ كثيرًا يا عزيزتي، ما زلتِ جميلةً كما أنتِ.

مريم: لقد كنت أفكر بكِ في كل مرة أذهب فيها لشراء ملابسي، أتذكرين حين كنا نتشارك في اختيارها معًا؟

روز: وهل هي ذكريات تُنسَى؟

ضحى: مُنذ متى وأنتِ هنا؟

روز: مُنذ ثلاثة أيام.

مريم: هل تقيمين عند عمكِ؟

روز: نعم، لكن سأرحل بعد يومين أو ربما أقل؛ لاستكمال دراستي.

ضحى: ومتى ستعودين مجددًا؟

روز: ربما في العُطلة الصيفية.

مريم: لقد سررنا كثيرًا بلقائكِ.

ضحى: حقًّا يا لجمال الصدف أحيانًا! سنأتي لزيارتكِ قبل السفر.

روز: سأنتظركما في أي وقت.

"ضحى" و "مريم" ربما هما الصديقتان الأقرب لقلب "روز"، كانت تقضي معهما غالبية الوقت، لا توجد كلمات تعبر عن محبتهما ونقاء علاقتهما، ربما هما أفضل ما تعثرت به "روز" حتى الآن، وبعد سفرها انقطعت كل طرق التواصل بينهن، ولم يتبقَّ بينهن سوى تلك المحادثات الكتابية الغبية التي لا تعني ولو مثقال ذرة من الصدفة البسيطة التي جمعتهن، فأحيانًا اللقاء على أرض الواقع -ولو دون التفوه بكلمة- يغني بكثير عن محادثة إلكترونية لبضع ساعات.

وجدت "روز" صوت "رولا" يناديها، فعادت لترى ماذا فعلت، شاركتها رأيها في بعض المتطلبات التي أرادت شراءها، ثم عادتا معًا إلى المنزل.

"قيل أن البعيد عن العين بعيد عن القلب، فلماذا سكنتِ قلبي حتى كدتِ تسيطرين على جميع دقاته؟ حتى تشتَّت روحي بغيابكِ، أصبتِ مني مجرى دمي، فلم أعد أحيا بدونكِ، أود لقاؤكِ بشدة، وسنلتقي قريبًا بل قريبًا جدًّا".

كتب "بدر" تلك الكلمات في مذكراته الخاصة وكتب تحتها:

"أحببتها، ولكن قلبي لم يستجمع شجاعته بعد للبوح لها بتلك الكلمة التافهة التي تتكون من أربعة أحرف، أشعر بأن حياتي دونها سراب لا هدف لها، تلك الفتاة الجميلة العفوية، التي تغطي المكان ببهجتها، ويا ويلي من الحزن الكامن بقلبها! لو كان بيدي إزالته ما تأخرت".

ثم كتب بعدها: "تلك الكلمات أهديها لكِ أنتِ، روز".

قاطعه أحد أصدقائه يحادثه؛ للخروج لمشاهدة مباراة كرة القدم في الموعد المتفَق عليه، فأغلق مذكراته وهمَّ بارتداء ملابسه للخروج.

بعد انتهائه خرج من غرفته، واتجه إلى غرفة أخته "مي" قائلًا: أريد أن أتحدث معكِ في أمر ما.

مي: ماذا تريد؟

بدر: هل ما زالت "روز" عند أقاربها؟ أم أنها عادت إلى الجامعة؟

مي: لا، لم/ تصل بعد، حادثتها البارحة وعلمت بأنها ستصل بعد غد، لكن لمَ هذا السؤال؟

بدر: لا أعلم، لكن أردت فقط أن أطمئن عليها، فلا وسيلة لديَّ في معرفة أخبارها سواكِ.

مي: أخبرني لماذا تنتظر كل هذا الوقت؟ لمَ لا تخبرها حتى يهدأ قلبك، على الأقل إن كانت لا تفكر بك فتكتفي بالرحيل قبل أن يتعلق قلبك بمن لا يهواك؛ فتتألم.

بدر: لم يأنِ الوقت بعد، علَيَّ الذهاب، سأعود في العاشرة، هل تريدين مني أن أجلب لكِ شيئًا من الخارج؟

مي: لا وشكرًا، لا تتأخر، تصحبك السلامة.

بدر: إلى اللقاء.

خرج "بدر" وهو لا يدري ماذا حلَّ به، لماذا لا يخبرها حقًّا قبل أن يأتي أحدهم ويفوز بها قبله؟ بينما يجلس هو يندم على تأخره، لمَ لا يذهب ويطلب يدها ما دام يحبها هكذا؟ أسئلة كثيرة تدور في رأسه ولا يدري ما المانع لديه؟ ربما يخشى البوح أو أنه يخشى من ردة فعلها؛ حتى لا يصطدم، فما زال يهرب من البوح خشية الاصطدام بالواقع.

وصل إلى أصدقائه وبعد التحية جلس معهم، حيث قد بدأت المباراة، وكأي شاب في مثل سنه حين تبدأ المباريات يتوقف التفكير في أي شيء حتى قلبه يكتب عليه "إيقاف مؤقت" لما عدا ضربات القلب السريعة حال تعادل الفريقين والوصول لضربات الترجيح.

في المساء، بعد عودة "روز" و "رولا" وشرائهما لبعض المتطلبات، أخذت "رولا" تعرض ما قامت بشرائه على العائلة، حينها لاحظت "روز" غياب "عليٍّ" فسألت العم عنه، وأخبرها أنه أصبح أفضل بكثير من السابق.

روز: أعتقد بأنه لن يتمكن من العودة معي بعد غد، أليس كذلك؟

العم: لا بد له من الراحة قليلًا، على الأقل عليه البقاء هنا معنا حتى الأسبوع القادم.

روز: حسنًا، سأعود أنا وربما أطمئن عليه من وقت لآخر حتى يعود.

أميرة: هل يستلزم الأمر عودتكِ بعد غد؟

روز: لا بد لي من العودة؛ حتى لا تتأخر دراستي، يكفيني ما فات منها.

أميرة: وهل أصبحتِ بخير الآن؟ أم أنك ستمرضين مجددًا؟

روز: لا أعلم، الأمر يتعلق بالوحدة، ما دمت هنا بينكم فأنا بخير، لكن وحدي هناك أشعر بالخوف والتعب والوحدة وكل شعور بشع قد يلم به عقلك.

العم: ومتى سيصل أخوكِ؟

روز: لقد ذكَّرتني يا عمي، أشكرك.

العم: بماذا؟

روز: لقد أخبرني بأنه سيصل خلال أيام قليلة، فلقد أخَّرته الإجراءات؛ لكنه سيصل قريبًا.

العم: يا له من خبر سار! إذًا سنأتي لزيارتكما حين يعود.

روز: سوف ينير المكان بوجودك يا عمي.

العم: سوف آتي معكِ؛ حتى أطمئن أنكِ وصلتِ بيتكِ سالمة.

روز: لا داعيَ لهذا، أرجوك يا عمي، فلديك عملك ومهامك هنا.

العم: لكن هل بإمكانكِ العودة وحدكِ؟

روز: نعم، فأنا أعرف الطريق، لا داعيَ للقلق.

انتهى الحديث بينهما، وصعد الجميع للنوم وتبعهم العم بعدما تأكد بأن "عليّ" بخير وأخذ دواءه، وقفت الفتيات في الشرفة قليلًا يأكلن بعض المقرمشات على ضوء

القمر في ليلة دافئة من أواخر ليالي الشتاء الريفي، ثم ذهبت كل منهن إلى فراشها حيث غلبهن النوم.

وفي اليوم التالي بدأت "روز" بإعداد أغراضها وساعدتها ابنتا عمها، وأهدتها "أميرة" قلادةً وطلبت منها ألَّا تخلعها؛ حتى تتذكرها حين تنظر إليها، أخبرتها الفتاتان بأنهما قضيا وقتًا مختلفًا بصحبة فتاة جميلة مثلها، وأنهما سعيدتان؛ لأنها ابنة عمهما، بينما طلبت منها "رولا" ألَّا تدع الحزن يتسلل لقلبها مرة أخرى، وأن تتذكر دومًا بأن هناك مَن يحبونها، وطلبت منها أن تسمح لها بأن تتحدث إليها كل ليلة حين تنتهي من أعمالها؛ حتى لا تشعر بالوحدة.

سمعت الفتيات صوت طرق على الباب، دخلت العمة وأخبرت "روز" بأن ثمة فتاتين في الخارج تريدان مقابلتها، وحين سألتها مَن هما، أخبرتها بأنهما تُدعيان "مريم" و"ضحى"، قالت إحداهما بأنهما صديقتاها منذ الصغر، فطلبت منها أن تسمح لهما بالدخول والجلوس، حتى تُغير ملابسها وتنزل إليهما في الحال.

انتهت "روز" سريعًا ونزلت لمقابلة صديقتيها، جلست الفتيات معًا وراح الجميع يتذكرن تلك الأيام الجميلة أيام الصبا، فلا شيء يمكنه أن يفوق جمال تلك الذكريات.

مريم: لقد اشتقنا كثيرًا إلى تلك الأيام، كم أتمنى عودتها وبشدة!

روز: وأنا أيضًا.

ضحى: أخبرينا كيف حالكِ هناك؟ وأي مكان تفضّلين أكثر هنا أم هناك؟

روز: لقد تعبت من شعوري بالوحدة هناك؛ حيث لا أهل لي ولا وطن، مكاني هنا معكم مع أهلي وسط بيئتي التي نشأت فيها، لكن لا جدال بأن المكان هناك رائع

للزيارة وقضاء بعض الوقت، الأمر يختلف من شخص لآخر، لكن بالنسبة لي أُفضِّل المكوث هنا للأبد.

مريم: ربما لأنكِ وحدكِ هناك تشعرين بمثل هذا الشعور المزعج.

روز: لا أعلم، لكن هذا هو شعوري منذ وقت ليس بقصير.

ضحى: يكفينا حديثًا عن هذا المكان الآن.

روز: معكِ حق.

ضحى: أخبريني ما تلك القلادة الجميلة؟ مَن أهداها لكِ؟

روز: إنها ابنة عمي.

ضحى: ألم تفكري في الزواج يا "روز"؟

روز: الأمر ليس بهذا الشكل، إنه يحتاج الكثير وليس مجرد التفكير في الأمر.

ضحى: ماذا تقصدين؟

روز: أقصد بأنه يحتاج شخصًا أهلًا لهذا الأمر، وكما تعلمين ما أصابني من حزن في الحقبة الأخيرة؛ لذا فإنه يحتاج إلى مَن يتحمل كل هذا دون رحيل، كما أريده أن يكون هيِّنًا ليِّنًا يخشى الله ويتقيه فيَّ، لا أريده مثاليًّا ولا أريد منه جمالًا بقدر ما أريد منه أن يحبني حبًّا صادقًا، ويبقى الود بيننا مهما حدث.

ضحى: كل منا يحتاج هذا الشخص، لكن تُرى أين نجده؟

روز: بالطبع سيأتي، وأفضل مما تمنينا، ألم يقل الله -تعالى- في كتابه: ﴿**وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾؟ فسأنتظر إلى أن يأتيَ الموعد، وسأظل أدعو الله به.

مريم: لقد أقنعتِني.

روز: أريد أن أسألكما سؤالًا.

مريم: بالطبع اسألي.

روز: ألم يأتِ عليكما وقت ونسيتما "روز"؟

مريم: ما الذي تقولينه؟ بالطبع لا.

ضحى: وهل أتى الوقت عليكِ ونسيت مَن نحن؟

روز: لا ولن يحدث، لكنكما معًا وأنا بعيدة، والبعيد منسيّ.

ضحى: مَن قال بأن البعيد منسيّ؟ أحيانًا يكون البعيد أقرب إلينا ممن يجلس بجوارنا، ليس البعد بالمكان بقدر ما هو ببعد القلوب وتقاربها، ثم إننا دومًا ثلاثة أضلع لمثلث واحد، ولن يكتمل المثلث سوى ونحن معًا.

مريم: لا تفكري بمثل هذه الأمور مرة أخرى.

روز: حسنًا.

مريم: هل انتهيتِ من ترتيب أغراضكِ أم نأتي لمساعدتكِ؟

روز: لا، لقد أنهيت كل شيء.

ضحى: متى ستغادرين؟

روز: في الصباح.

ضحى: حسنًا، سنذهب نحن ولتصحبكِ السلامة.

مريم: سوف نطمئن عليكِ من وقت لآخر.

روز: لكن أليس الوقت باكرًا للرحيل؟

ضحى: حتى تجلسي مع أهلكِ قليلًا، وتنامي باكرًا للسفر.

روز: أسعدتني زيارتكما، أتمنى رؤيتكما قريبًا.

مريم: إلى اللقاء.

روز: سأشتاق إليكما.

ضحى: ونحن أيضًا.

خرجت الفتاتان وبدأت "روز" تنهي ما تبقى لها من ترتيبات للسفر، ثم جلست مع العم والعائلة بعض الوقت قبل الذهاب إلى النوم.

العم: توخي الحذر وأنتِ هناك، وإن أردتِ أي شيء تكلمي معي.

علي: فقط بمجرد الشعور بالتحسن بعض الشيء سأكون عندكِ، سأحادثكِ بمجرد الوصول.

روز: لا داعيَ للقلق سأكون بخير، شكرًا لكم جميعًا على هذا الوقت الرائع.

العم: هيًّا، لقد حان وقت النوم، سنستيقظ جميعًا باكرًا.

ذهب الجميع إلى النوم، وكانت تلك هي الليلة الأخيرة التي قضتها "روز" في بيت عمها، ربما كانت الليلة الأخيرة أيضًا في الشعور بدفء الأسرة ومرح الأصدقاء.

في الصباح الباكر ساعد العم في حمل الحقائب وإيصال "روز" إلى الحافلة التي ستوصلها إلى منزلها، وساعد أيضًا "عليٌّ" قدر استطاعته، فهو لا يزال مصابًا.

أميرة: لقد اعتدت على وجودكِ معي، لا أريد منكِ الذهاب.

روز: سأعود بالتأكيد، وتلك المرة مَن يدري ربما لا أرحل مجددًا.

رولا: سأنتظر عودتكِ قريبًا.

روز: بالطبع.

ركبت الحافلة وهمَّت بالرحيل، وقد حاولت تجاوز لحظة وداعهم دون بكاء، فالوداع هو أشد اللحظات حزنًا وأعمقها تأثيرًا في القلوب، بدأت تراقب الطريق لبعض الوقت وكأنها تودِّع جمال الريف وهدوءه، ثم نامت أغلب الوقت في الحافلة حتى يمضي الوقت سريعًا.

وبالفعل مضى سريعًا جدًّا، هي لا تعلم إن كانت سرعته تلك لأنها ستعود إلى حيث يبدأ الحزن والزحام والضوضاء؟ أم أنها لم تعد تشعر بعقارب الساعة، وكأنها فقدت القدرة على تمييز الأزمنة.

وصلت أخيرًا إلى منزلها بعد يوم حافل بالسفر والتعب، قامت بترتيب ملابسها وبعدها لم تشعر برأسها على الوسادة حتى ذهبت إلى النوم.

وفي اليوم التالي بينما كانت تتناول عشاءها، إذ بهاتفها يرن معلنًا عن مكالمة واردة من الطبيب، فهمَّت مسرعةً بالإجابة.

روز: مرحبًا.

الطبيب: آنسة "روز"، كيف حالكِ؟

روز: بخير، نحمد الله.

الطبيب: أردت فقط أن أذكركِ بموعد لقائنا غدًا.

روز: أشكرك على اهتمامك، سآتي غدًا في الموعد المتفَق عليه.

الطبيب: ستُسعدني زيارتكِ.

روز: شكرًا لك.

الطبيب: سأكون في انتظاركِ، إلى اللقاء.

روز: حسنًا، إلى اللقاء.

وفي صباح اليوم التالي، قامت من نومها وهمَّت بتناول فطورها، ثم خرجت متوجهةً إلى المشفى، حيث كان موعدها مع الطبيب النفسي؛ ليطمئن على حالتها، بمجرد دخولها لم تنتظر سوى دقائق حتى أدخلها مساعد الطبيب بأمر منه.

الطبيب: آنسة "روز"، كم يسعدني رؤيتكِ هنا! ما كل هذا النشاط؟ يبدو أننا لم نعد بحاجة للعلاج.

روز: هل هذا كلام جِديٌّ؟

الطبيب: ولمَ نحتاج للعلاج الآن، أرى أن حالتكِ تحسنت، حتى علامات الحزن والتعب قد اختفت من على وجهكِ.

روز: أشكرك أيها الطبيب.

الطبيب: يمكنكِ التوقف عن الدواء، لكن احذري القلق والتوتر وكل ما يؤدي إلى تأثر حالتكِ النفسية، وعليكِ بتناول الطعام جيدًا؛ كي لا تصابين بأي مرض، هل اتفقنا؟

روز: اتفقنا.

الطبيب: أراكِ بخير.

روز: أشكرك مجددًا، وداعًا.

خرجت سعيدة؛ لأنها ليست مجبرةً على تناول هذا الدواء سيء المذاق مجددًا، وأنها أصبحت أفضل حالًا من السابق، ربما الأمر لم يكن يستدعي منها كل ذلك الحزن، وقررت أن تبدأ حياةً جديدةً وتعود مرحةً كما كانت من قبل.

ذهبت إلى التسوق لشراء بعض متطلبات المنزل وأيضًا بعض الأشياء التي تخص الجامعة، ثم عادت إلى المنزل وقامت بإعداد الطعام، وبعد انتهائها من غسل الأطباق وجدت رسالةً من "مي"، تسألها عن حالها ومتى ستعود، فأجابتها بأنها تشتاق لرؤيتها، وأنها ستصل الجامعة في الصباح.

عاد "بدر" من العمل، فأخبرته "مي" بأن "روز" قد عادت قائلة: لقد تحدثت إليها منذ قليل، وأخبرتني بقدومها غدًا إلى الجامعة.

بدر: أخبريني إذًا كيف حالها؟

مي: بخير، سأراها غدًا وأخبرك.

بدر: لا، سآتي غدًا لاصطحابكِ فور خروجكِ من الجامعة وأراها.

مي: هل اشتقت إليها إلى هذا الحد؟

بدر: لا أعلم؛ لكنني أتوق لرؤيتها.

مي: أخبرني ما نتيجة ما تقوم به وهي لا تعلم حتى بأنها تشغل تفكيرك؟

بدر: لا دخل لكِ بهذا.

مي: إن لمْ تخبرها، سأقوم أنا بإخبارها.

بدر: إياكِ وتلك الفعلة، وإلَّا....

مي: من دون إلَّا، أخبرني متى ستخبرها؟

بدر: حين أتأكد.

مي: من ماذا؟ من حبك الذي كاد يصيبك بالجنون؟!

أشاح "بدر" وجهه بعيدًا معلنًا انسحابه من هذا الحديث؛ حتى لا يدخل في جدال طويل مع شقيقته ربما لا ينتهي، توجَّه إلى حجرته وهو مُشتَّت الفكر، هل حقًّا يجب عليه أن يبادر بإخبارها؟ أم ينتظر بعض الوقت؟

راح يتحدث مع نفسه قائلًا: إلى متى سأنتظر دون تصريح هكذا؟ إن انتظرت حتى تظهر عليها علامات الإعجاب أو التجاهل حتى فلن يحن الموعد، فهي صامتة لا يبدو عليها أيُّ شعور، تُرى ما الحل؟

دارت في رأسه العديد من الأفكار والتساؤلات حتى توصَّل في النهاية إلى قرار نهائي، وقرر عدم التصريح به حتى يخوض في تنفيذه.

وفي اليوم التالي استيقظت "روز" في موعدها، بدأت في ارتداء ملابسها واصطحبت معها أوراقها وبعض أقلامها في حقيبة يدها، وهمَّت للذهاب إلى الجامعة بعد غيابها بعض الوقت أثناء زيارتها لمنزل عمها، بمجرد وصولها إلى الجامعة وجدت صديقتها "مي" تنتظرها أمام الباب، ألقت مي عليها السلام متلهفة، وقامت باحتضانها بشدة كأنها لم ترَها منذ زمن طويل، ثم رافقتها إلى الداخل ودارت بينهما حوارات كثيرة.

مي: لقد كنت مشتاقةً إليكِ كثيرًا، أخبريني هل أنتِ على ما يُرام الآن؟

روز: نعم بخير، نحمد الله على العافية، لطالما غمرنا الله بلطفه وكرمه ومنِّه علينا، ربما لا يُدرك المرء منا فضل الصحة إلا عند المرض، حقًّا كما قال الشاعر: "الصحة تاج على رؤوس الأصحاء". لو يدري كل منا فضل صحته وكيف يكون حاله في المرض، لحمد الله وسبَّحه في كل قيام وقعود، الحمد لله على كل النِّعم التي تغمرنا، ما نشعر به منها وما يخفى علينا.

مي: الحمد لله يا عزيزتي.

روز: الساعة التاسعة، لقد بدأت المحاضرة.

مي: حسنًا، لكن أريد أن أتحدث معكِ بعد انقضائها.

روز: بكل سرور.

دخلت "روز" ومعها "مي" لتلَقي المحاضرة، صادفت عيناها عينَي "رنا" فابتسمت إثر ذلك، وشعرت بالسعادة حين رأت صديقتها التي غابت عن عيونها لفترة بسبب

مرضها، مرَّ الوقت المخصص للمحاضرة وبمجرد خروج المُحاضر أسرعت "رنا" واتجهتا نحو "روز" قائلة: عزيزتي كيف حالكِ؟! أنا سعيدة جدًّا لرؤيتكِ هنا.

روز: بخير يا عزيزتي، اشتقت إليكِ.

رنا: وأنا اشتقت إليكِ كثيرًا، ما رأيكِ أن نجلس قليلًا قبل المغادرة؟

روز: حسنًا، لا بأس بذلك.

مي هامسة: "روز" ألن تأتي؟ لقد أخبرتكِ أنني أريد التحدث معكِ في أمر مهم.

روز: سأجلس معها بعض الوقت ثم آتي معكِ.

مي: لكنني أود الرحيل؛ فلديَّ موعد.

روز: إذًا لنؤجل الحديث لوقت لاحق، أو ربما نتحدث عنه في الهاتف.

مي: حسنًا كما تشائين، ربما في وقت لاحق إذًا.

روز: حسنًا، لا بأس.

مي: عليَّ الرحيل، أراكِ قريبًا.

روز: إلى اللقاء.

خرجت "مي" معلنةً رحيلها، ووصلت إلى السيارة حيث وجدت "بدر" منتظرًا إياها، وأخبرته بما حدث، فظهرت على وجهه علامات الضيق، فقد كان يرغب برؤية "روز" كثيرا؛ لكنه اكتفى بالصمت واتجه إلى المنزل.

جلست "رنا" مع "روز" وتساءلت: هل هنالك خطب ما؟

روز: لا عليكِ، كل شيء بخير.

رنا: هيَّا نجلس في الحديقة بعيدًا عن الضوضاء تلك.

روز: هيَّا بنا.

جلست الفتاتان في الحديقة وجلبتا بعض العصير، ساد الصمت بينهما لوهلة ثم نظرت "روز" في عيني "رنا" قائلة:

- ما بكِ؟ أخبريني بما يدور في ذهنكِ دون حرج.

رنا: وكيف عرفتِ بأنني أريد التحدث؟

روز: رأيت الكثير من الكلمات في عينيكِ، لكن لمَ الحرج؟ هيَّا أخبريني ما بكِ؟

رنا: حزينة بعض الشيء.

روز: اهدئي فقط وأخبريني بما حدث.

رنا: أعلم أننا جميعًا فترات بحياة بعضنا، وأن وقت الرحيل آتٍ لا محالة، لكن قلبي يتألم.

روز: لقد تشتت ذهني، مَن رحل عنكِ، هل تُوفِّي أحدهم؟

رنا: لا، أحيانًا يكون فراق الموت أهون علينا من فراق الأحياء، على الأقل فراق الأموات خارج عن إرادتنا، أما فراق الأحياء فهو بمحض اختيارهم؛ لذا يشعر المرء منا بأنه المذنب، تدور تساؤلات شتى في عقله أمثال "تُرى ماذا فعلت؟ هل أنا سيء إلى هذا الحد؟ هل ذاك هو جزاء الحب والتقدير تجاههم"؟ وينتهي بنا المطاف إلى وخزة في قلوبنا يبقى أثر ألمها كلما صادفنا أناس، أماكن، أو حتى رائحة، لقد تعبت.

روز: يا عزيزتي، مَن يجرؤ على ترككِ حزينةً ولو لدقيقة، مَن لم يُقدِّر حبكِ واهتمامكِ، فلا يستحق حتى منك ولو تذكُّره لوهلة وليس الحزن عليه!

رنا: أتدرين إحساس المرء منا حين نهتم بمن لا يُقدِّر منا ذلك؟ نجلس بجانبه دومًا، نكن له عونًا قبل أن يبوح حتى بالحاجة، لكنه لا يهتم بهذا، وكيف يهتم وهو يبحث عن آخرين لدرجة أنه يكاد لا يرانا؟

روز: أخبريني أنتِ ماذا يحدث لو انقلبت الطاولة عليه واكتفينا نحن بما تبقى لنا من كرامة ولملمنا شتات الحب فينا؟ ثم رحلنا وطَيْفنا عنه حتى لم يتبقَّ له منا سوى ذكريات عابرة، فهل سيفتقدنا؟

"لو كانت الإجابة نعم، فهي أشبه بالإتيان بالشيء بعد انقطاع الشغف بداخلنا تجاهه".. يؤسفني القول بأنه لو عاد لن يجد له فينا مكانًا بعد ذلك، إثر إهماله بمن لم يُقدِّر سواه.

ما أقصده هو أن تتجاهلي ذلك الشخص مهما بلغ الحب بداخلكِ تجاهه؛ فهو لم يُقدِّر وجودكِ؛ لذا عليكِ ألَّا يؤثر فيكِ غيابه.

رنا: أتدرين؟ دومًا ما يهجرني الأصدقاء والأحبة هكذا دون سابق إنذار، لقد سئمت ذلك حقًّا، خاصةً أن الكثير منهم يريدون الشخص منا في توهجه وازدهاره فقط، أما عن ركوده أو حتى ظلامه فهو له وحده، ليس الأمر بأنهم يتقبلون ذلك بلا مبالاة وردود باردة فحسب، أو أنهم يتركوننا وحدنا حتى، لكن بعضهم يحولون شظايا الألم المهمشة بداخلنا إلى لهب حارق وحِمم بركانية قاصدين بذلك دمارنا.

روز: إذًا ماذا لو بيدنا قلَبنا الأمر ضدهم مرة وتوهجنا أكثر بعد أن عرفنا خُطتهم تلك؟ وصارت أفعالهم سرابًا لا يؤثر بنا؟

رنا: معكِ حق، هذا حقًّا هو الحل؛ لأنهم لم يكونوا ليستحقوا ما فعلناه لأجلهم.

روز: بهدوء -يا عزيزتي- وحكمة، عليكِ إعادة ترتيب دائرة الأصدقاء والأحبة من حولكِ، وإخراج كل مَن لا يستحق قربك، أفهمتِ؟

رنا: لقد فهمت، لكنني أحتاج إلى شخص واحد فقط يبقى معي في السراء والضراء، يكون لي صديقًا وسندًا، أتكئ عليه، يتشبث بيدي كطفل عالق بأمه، يتعلق بروحي كحبيب مُتَيم عثر على حبيبته بعد فراق دام حولين، أحتاج لمن يرى سعادته في وجودي بجواره، يزهد في الصداقة دوني، يكون لي ومعي خير صديق، يبقى هنا مهما ابتعدنا، لا يرحل ولا يمل، والأهم من ذلك ألَّا يكون مؤقتًا أو عابرًا مثلهم.

روز: صدقيني، سيعوض الله وحدتكِ واضطراب الأمور بداخلك، ستتفاجئين بعوض الله عما قريب، حتى أنكِ لتبكين من شدة الفرح حينها.

رنا: آمُل أن يحدث هذا قريبًا، فقد تعبت.

روز: سيحدث -يا عزيزتي- فقط ثقي بعوض الله.

رنا: أحبكِ كثيرًا يا روز، أنتِ فقط مَن يهدأ قلبي حين أتحدث معها.

روز: هذا واجب علَيَّ منذ صرنا صديقتين، وتأكدي بأنني دومًا هنا في أيِّ وقت.

عانقتها "رنا"، ثم اقترحت عليها أن توصلها إلى البيت؛ فوافقت "روز".

وصلت "روز" إلى المنزل أخيرًا، فلقد كان يومًا شاقًّا نوعًا ما بالنسبة لها، فلقد اعتادت على النوم لوقت متأخر وعدم الذهاب إلى الجامعة، مع الاسترخاء في البيت واحتساء كوبها المفضَّل في هدوء بعيدًا عن الاختلاط بالآخرين، فعودتها إلى الجامعة

بعد غياب قد استمر لبعض الوقت هو بمثابة ترك الفراش في ليلة باردة والخروج في الطل!

مرت الأيام التي لم تكن تختلف كثيرًا عن بعضها، وكأنه يوم واحد يُكرر نفسه، وفي يوم من الأيام -وبعد عودة "روز" من الجامعة وتناولها وجبة الغداء- جلست تتصفح حسابها فوجدت رسالةً مكونةً من كلمتين فقط جعلتها تصرخ من شدة الفرح، فأحيانًا كلمات بسيطة تكون قادرةً على لمس شيء ما بداخلنا؛ مما يجعل المرء منا يشعر بسعادة عارمة إثر ذلك، لقد كان محتوى الرسالة كالتالي: "سأصل غدًا".

حسنًا، كانت هذه الرسالة من أخيها "سليم" يخبرها بانتهائه من إجراءات السفر أخيرًا، ووصوله برفقته زوجته "أسماء" وابنتيه "ميار" و"تقى".

أغلقت "روز" هاتفها وذهبت في قيلولة لبعض الوقت، ربما لم يمر سوى ساعة أو أقل بقليل حتى أيقظتها مكالمة هاتفية من "عليّ"، الذي قد تم شفاؤه وعاد البارحة إلى عمله، يسألها إن كان بإمكانه الخروج معها لتناول العشاء قائلًا: لا أعلم هل بإمكاني أن أطلب منكِ هذا الأمر أم لا؟ لكن لا بأس إن رفضتِ.

روز: لا بأس بذلك، يمكنني المجيء.

علي: هل أنتِ محقة؟

روز: ولمَ لا؟ أنت مثل أخي، ثم إنني أود إخبارك ببعض الأشياء المهمة.

علي: حسنًا، ألقاكِ الليلة.

روز: اتفقنا، سأتحدث إليكِ حين أكون على استعداد لذلك.

علي: سأنتظر منكِ هذا.

روز: حسنًا، إلى اللقاء.

استيقظت "روز" وقامت ببعض الأعمال في المنزل، ثم بدأت ترتدي ملابسها للخروج، كادت ترتدي زيًّا عاديًّا كعادتها مؤخرًا، لكن عيناها قد ذهبت إلى فستان أنيق كانت تحب ارتداءه في المناسبات الخاصة بالتحديد الأوقات غير الرسمية، فكرت قليلًا لمَ لا ترتديه طالما أنه غير ملفت بالمرة؟ أرادت فقط الخروج وعدم العودة إلى الروتين الممل والزيّ الأسود.

قامت بارتدائه ولاحظت الفرق، فلقد بدت كملكةٍ يوم تتويجها، نظرت إلى نفسها في المرآة وابتسمت من قلبها، ما هذا الجمال! سبحان الخالق العظيم! تذكَّرت أنها ما زالت لم تلتقِ بنصفها الآخر، فقالت بسخرية:

"مَن لا يرى هذا الجمال فهو أعمى البصر بالتأكيد، مع اعتذاري لمن فقد بصره؛ فهو ما زال لديه القدرة على التمييز على الأقل، أما شباب اليوم فهو لا يرغب سوى بعاريات أو بهلوانات تضع جميع مساحيق التجميل الموجودة على الكُرة الأرضية على وجهها، أما الجمال الداخلي فلم يعد يُقدِّره أحد.. اهدئي يا "روز" لا عليكِ، لا بد أن الله سيرزقكِ بمن يشبه قلبكِ، مَن يستحق ذاك الجمال دون جهد منكِ، فقط استغفري ولا تشغلي بالكِ".

بعد قليل وجدت رسالةً من "عليّ" يُذكرها بالموعد، فقامت بمحادثته وأخبرته بأنها على وشك الانتهاء، وأن يأتي لاصطحابها.

وصل "عليٌّ" وانتظر في الخارج حتى خرجت إليه، وهنا كانت المفاجأة بالنسبة إليه، نظر إليها في ذهول قائلًا:

- عذرًا يا سيدتي، يبدو أنني أخطأت بالعنوان.

روز: لم تخطئ بالعنوان يا خفيف الظِّل، إنها أنا.

علي: مَن أنتِ؟

روز: هل أصابك شيء؟ أم نسيت ما كنت أفعل بك ونحن صغار؟

علي: لا، يكفي لقد تذكَّرت مَن، أختي العزيزة.

روز: هل علَيَّ أن أذكِّرك في كل مرة؟

علي: انتهينا الآن، لكن أخبريني ما هذا الجمال؟!

روز: أردت فقط الخروج من ردائي الأسود والعودة لأناقتي من جديد.

علي: حقًّا، عدتِ أنيقةً وجميلةً جدًّا.

روز: حقًّا؟

علي: نعم، كثيرًا.

روز: ألن نذهب؟ أم سنأكل هنا؟

علي: هيَّا تفضَّلي بالركوب يا آنستي الجميلة.

روز: تفضَّل بالقيادة يا سائقي العزيز.

علي: ماذا لو قام ذاك السائق الخاص بكِ بإيصاد الباب ومنعكِ من الركوب؟

روز: ما زلت أمام بيتي، سأعود من حيث أتيت ولا بأس، أما أنت -يا مسكين- فستذهب وتتناول العشاء وحدك وإلَّا راحت عليك أموالك.

علي: لا بأس سأتحمل، هيَّا اصعدي.

روز: لقد أصابتني قشعريرة لأجلك، حسنًا سأصمت.

علي: يُفضَّل هذا.

روز: هيَّا؛ كي لا نتأخر.

قام "عليٌّ" بالقيادة مسرعًا، وتوجَّه إلى أحد المطاعم، وبينما كانا في الطريق ظلت "روز" تنظر من نافذة السيارة، لكن هذه المرة لم يكن حزنًا أو محاصرةً لذكرياتها المؤلمة، بل كانت سعادةً ببدء عودتها لممارسة حياتها بشكل طبيعي، وأيضًا فرحًا بعودة أخيها الذي سيصل قريبًا.

وصلا إلى المكان المحدد واتجها إلى حيث توجد الطاولة الخاصة بهما، جلسا لبرهة في حين أتى النادل ومعه قائمة الطعام، اختارت "روز" نوعًا من الطعام المفضَّل لها وكذلك "عليّ"، ثم انصرف النادل وبعدها دار بينهما الحوار التالي:

علي: أخبريني، هل أتيتِ إلى هذا المكان من قبل؟

روز: أعتقد بأنه مكان مألوف علَيَّ، لكنني لا أتذكر متى جئت إلى هنا؟

علي: أتيتِ وحدكِ؟ أم كنتِ مع رفاقكِ؟

روز: لحظة فقط أحاول أن أتذكَّر.

علي: الوقت معكِ.

روز فجأة: لقد تذكَّرت، جئت إلى هنا من قبل برفقة صديقة لي، وكان معها خطيبها وأخوها.

علي: نعم فهمت، إن الطعام هنا جيد للغاية.

روز: أعتقد هذا أيضًا، لكن لا بأس بتجربته مرة أخرى.

علي متسائلًا: أخبركِ بنكتة؟

روز: لا، نِكاتك غير مضحكة.

علي وقد تصنَّع الحزن: أنتِ الخاسرة.

روز متصنعةً للشفقة: لقد أشفقت على حالك، سأستمع.

عليٌّ ضاحكًا: لا، لن أخبركِ.

روز بغيظ: يُفضَّل هذا.

ضحك "عليّ" ضحكةً خفيفة، فابتسمت "روز" إثر ذلك وقالت: لقد تذكَّرت أيام الصبا.

ابتسم "عليٌّ" وأومأ برأسه قائلًا: وأنا تعمدت ذلك.

وبينما كان يدور بينهما هذا الحوار ومع إطلاق تلك الضحكات والابتسامات المتبادلة لم تلاحظ "روز" مَن كان يحملق النظر فيها وقد كاد رأسه يتهتك من الغيظ، لم يستطِع الانتظار أكثر من هذا، وقام مسرعًا من مكانه متجهًا إلى الطاولة الخاصة بهما، حتى أنه لم يلحظ ارتطام يده بالطاولة من شدة انفعاله؛ وقف أمام "روز" ونظر إليها نظراتٍ حادةً كنظرات الصقر، حتى أنها قد أصابها الذهول لما يحدث، فقالت متسائلة: ماذا يجري؟

هنا انتفض "عليٌّ" من مكانه قائلًا: أنت مجددًا، ماذا تريد؟

قال بدر: أهذا أنت؟

علي: نعم أنا، ماذا تريد أنت؟

"بدر" وقد حاول أن يتمالك أعصابه: لا أريد منك أنتَ شيئًا.

ثم نظر إليها مجددًا وانصرف.

هنا أصاب "عليٌّ" بعض الضيق قائلًا: مَن هذا الشخص حتى يظهر لنا هكذا في كل مكان نتوجه إليه؟

روز: لا أدري لمَ يفعل هذا؟ ولماذا ينظر لي تلك النظرات الحادة؟

علي: ألم تفهمي بعد يا "روز"؟

روز: وما الذي عليَّ فهمه؟

علي: يبدو عليه علامات الحب نحوكِ، ألم ترَيْ كيف ينظر إليكِ وأنتِ مع غيره، ألَّا تعرفين ما هذا؟ ألَا تذكرين حديثي معكِ بشأن ما حدث في المشفى؟

روز -وقد بدا عليها أثر الصدمة:- ما هذا، ماذا تقصد؟

علي: إنها الغيرة يا عزيزتي.

صمتت "روز" صمتًا تامًّا، فهي لا تدري ماذا تقول، تُرى هل حقًّا تلك هي علامات الحب؟ لكن لماذا لمْ يُصرِّح لها؟ ولماذا لمْ تخبرها صديقتها حتى نيابةً عنه؟ تشتت ذهنها بعض الوقت، حتى قدِم النادل ووضع الطعام أمامهما على الطاولة، وهنا أفاقت من أفكارها وبدأت بتناول العشاء، لكنها لم تعد كما كانت، فقد سيطر عليها التفكير حتى قاطع حبل أفكارها صوت "عليٍّ" قائلًا:

- هيَّا "روز"، لقد حان وقت الرحيل.

أومأت برأسها موافقةً واتجها معًا إلى الخارج، ساد الصمت طوال الطريق ثم افتتح "عليٌّ" حديثًا قائلًا:

- ماذا دهاكِ؟ منذ صادفنا ذاك الشاب وأنتِ لستِ على ما يُرام، ماذا حدث؟

"روز" بصوت هادئ: لا أعلم ماذا أصابني، لقد تشتت ذهني حتى أنني لم أعد أستطيع التفكير بشيء.

علي: اهدأي فقط، وأخبريني لمَ كل هذا؟

روز: منذ أخبرتني بأن ما يفعله هو دليل على محبته وأنا مذهولة، حتى اجتمع في رأسي كل مواقفه السابقة معي، وازداد شعوري حينها أنه يبدو حقًّا ما يسمى بالحب، لا يوجد تفسير آخر؛ لكن لمَ لا يخبرني؟

علي: ربما يخشى على قلبه منكِ.

روز: وماذا سأفعل به؟

علي: ربما ترفضين الحب تجاهه، وحينها سيصيبه جرح ليس بهيّن، اسأليني أنا عن جرح الحب.

روز: ولِمَاذا لم تخبرني صديقتي؟

علي: ربما هو مَن طلب منها أن تُخفي الأمر عليكِ.

روز: يبدو أن الأمر كذلك.

روز: أخبريني هل تحبينه؟

روز: لم يصل الأمر تجاهي لدرجة الحب بعد.

علي: إذًا هل يوجد حتى مجرد إعجاب؟

روز: لا أعلم، لم أفكر بالأمر.

علي: وكيف تريدين منه أن يخبركِ وأنتِ حتى لا تعلمين شعوركِ تجاهه؟ بالطبع هو ينتظر معرفة شعوركِ أولًا ثم يتبع ذلك البوح.

روز: ربما، اترك مجال الحديث في هذا الأمر الآن، فأنا أرغب في إخبارك بشيء آخر.

علي: تفضَّلي.

روز: سيصل أخي غدًا، وأريد منك مرافقتي لاستقباله في المطار، أعلم أن هذا الأمر مفاجئ، وربما لا تستطيع المجيء بسبب عملك؛ لذا لا بأس، وسأقبل اعتذارك بصدر رحب، فلتخبرني إن كنت لا تستطيع دون حرج.

علي: ألَا يمكنكِ ترك مجال لي؛ لأجيب عليكِ حتى؟

روز: حسنًا، تفضَّل.

علي: غدًا هو يوم عُطلتي؛ لذا يمكنني الإتيان معكِ.

روز: هل تمزح؟

علي: لا، أتحدث بجدية.

روز: يا لحظي الجيد! شكرًا لك.

علي: هيَّا، لقد وصلنا إلى منزلكِ، استريحي الآن وسأمر عليكِ غدًا، لكن متى ستصل طائرته؟

روز: في الخامسة، سأتحدث إليك بعد إنهاء يومي الدراسي، فربما إن تأخرت تأتي إلى هناك بدلًا من المنزل.

علي: لا بأس بذلك.

روز: أولًا شكرًا لك على هذا العشاء الرائع، ثانيًا شكرًا لأنك دومًا هنا.

علي: لا داعي للشكر، ثم إنني سأحتاجكِ قريبًا في أمر ما.

روز: لا تخبرني، أهو ما يدور ببالي؟

علي: مَن يدري؟ ربما هو كذلك!

روز: يا له من خبر رائع! وهل...؟

علي: لنتحدث لاحقًا، فلقد تأخر الوقت.

روز: أجل، معك حق، إلى اللقاء.

علي: سأنتظركِ غدًا، إلى اللقاء.

دخلت "روز" المنزل وأوصدت الباب خلفها جيدًا، ثم اتجهت إلى غرفتها وجلست هكذا في هدوء لبعض الوقت، حتى تسللت الأفكار إلى رأسها مجددًا متذكِّرةً نظرات "بدر" الثاقبة موجِّهةً بعض الأسئلة إلى نفسها:

"تُرى أحقًّا يحبني بدر"؟

دارت في رأسها مواقف كثيرة متذكِّرةً ما حدث في خِطبة صديقتها، وكيف كان ينظر إليها وكأنها الوحيدة الموجودة في الحفل متجاهلًا ما عداها، أحاديثه، ضحكاته، شراؤه لملابس متناسقة مع ألوان فستانها، تعامله معها، يا إلهي! ماذا يجري؟ ثم إن كان يحبني حتى فلماذا أشغل بالي به إلى هذا الحد؟ هل أنا حقًّا معجبة به؟ إنه شاب وسيم وأنيق، خلوق ولديه مبادئ، سخيّ وهين الطباع؛ لكن حتى إن كان كذلك، فلطالما رفضت الحب والتعلق لمَ التفكير به دونًا عن غيره؟ "روز" اهدأي ونامي الآن، فغدًا سيكون يومًا مزدحمًا مليئًا بالأعمال.

جسديًّا يمكننا القول بأنها قد ذهبت للنوم، لكن عقلها لم ينَم بعد، كيف ينَم وما زال لديها الكثير من الأفكار والأمور المكتظة بداخل ذهنها؟ حاولت الكف عن كل تلك التساؤلات والأفكار المرهقة حتى نامت، لكنه لم يفارق حلمها..

في الحلم رأت أنها تسير في صحراء جرداء خالية من كل شيء، ولا يوجد حتى ولو شخص واحد كما لا يوجد عشب أو ما شابه، ظلت تسير فيها حتى أُغشي عليها من التعب، ثم بعد ذلك أفاقت على وجه "بدر" وهو يمسك بيدها ويحاول إيقاظها، لم تلتفت لتلك الكلمات التي كان يرددها، ولم تسمع سوى قوله: "كفكِ يا روز، أريد يدكِ، خاتم من الياقوت".

لم تفهم الغاية من تلك الكلمات، ولم تُدرك مقصده بها، كادت تفيق بالكامل وتسأله، لكنها استيقظت من النوم على صوت المنبه معلنًا الساعة الثامنة صباحًا.

قامت تسأل نفسها عمَّا حدث، وماذا كانت تلك الكلمات التي لم تفهمها؟ قامت بتصفح حسابها الشخصي وبحثت عن حساب "بدر"، لكنها لم تلتفت سوى لكلمات قد كتبها تقول:

"هادئة هي، لا تجيد لفت انتباه أحد، موقنةً بأنه لا يحق لأحد أن يرى جانبها الخفيَّ إلَّا شخص واحد فقط، لا تهتم بنظرة الآخرين إليها، لديها يقين كامل بأنه لا مثيل لها، وجمالها الداخلي كفيل لنزع قلبك من بين ضلوعك والاستحواذ عليه؛ لذا لا فائدة من المحاولة والمغامرة بقلبك للفت انتباه قلبها؛ لأن حتمًا سيصير قلبك هو الضحية...".

وأُخرى يوم خطبة أخته محتواها كالتالي:

"كفكِ حينما طبق على كفي ألهَب نيران الوَجْد بداخلي، وإن وجنتها لو رآها أحدهم لوجدها من شدة الحمرة كأن قطعةً من الياقوت قد ذابت عليها حتى تشعشع اللون قاطبة الخد، وإني أحاول تمالك نفسي أمام جمال عينيها خشية الإفصاح عما يكمن من محبة لما بباطن هذا الجَمال"!

تُرى بمن قصد تلك الكلمات؟ ولماذا يُشير تاريخ نشرها إلى تلك المرات التي صادفته فيها؟ لكنها لم تجد إجابةً عما يدور برأسها؛ لذا قامت بتناول بعض الفطور وأعدت حالها، ثم ارتدت ملابسها وهمَّت بالخروج متوجهةً إلى الجامعة، وقررت ألَّا تخبر أحدًا بشأن هذا الأمر.

بمجرد وصولها إلى الجامعة صادفت صديقتها "ندى"، فسألتها عن صديقاتها الباقيات، وعلمت بأنهن بالداخل، فلقد أوشكت المحاضرة على البدء، فدخلت الفتاتان وجلستا بجوارهن، انتهت المحاضرة الأولى فجلست الفتيات يتحدثن إلى حين ينتهي وقت الفراغ وتبدأ المحاضرة الأخرى، فقالت "نور":

- لقد قرأت بالأمس روايةً ممتعةً جدًّا، ولفت انتباهي مقولة سأخبركِ إياها.

ردت سارة قائلة: وما موضوع الرواية؟

ابتسمت ندى قائلة: تتحدث عن الأدب الرومانسي بالتأكيد.

ابتسم الجميع في حين قالت روز: اتركنها تخبرنا بالمقولة، كفاكن مُزاحًا.

نور: سأخبركِ أنتِ، إنها تقول:

"هناك لُغة تُدعَى لغة الأرواح، حيث تتلاقى أرواح المتحابين في المنام إن كانا غير قادرين على الإفصاح أو التلاقي في أرض الواقع، فماذا لو التقت أرواحنا تلك الليلة وأفشت لبعضها بما يطلقون عليه اسم الحب"؟

ذُهِلت "روز" من تلك الصُّدف التي تحيط بها، أحقًّا ما يحدث هذا لإخبارها بمحبة "روز" أم أن هذه هي صُدفة عابرة، وأنها فقط تُضخم الأمور ولا داعي لهذا؟

نور: "روز" ما بكِ، هل أنتِ بخير؟

روز وكأنها كانت منوَّمةً مغناطيسيًّا: ماذا؟ هل ينادي أحدكم؟

ندى: يبدو أنكِ ذهبتِ لعالم آخر.

سارة مازحة: نعم، يبدو أنه أتاها الليلة في المنام.

نور بضحك: أخبرينا هل هو وسيم؟

تجاهلت "روز" ما يدور برأسها وأكملت الضحك مع صديقاتها إلى أن رأت "مي"، وقد توجهت إليها وطلبت منها أن تأتي للتحدث معها في أمر مهم.

استأذنت "روز" من صديقاتها، وقامت لترى ما تريده "مي"، توجهتا إلى الخارج حيث ابتعدتا عن أعين الأخريات قليلًا، ثم قالت مي:

- أريد أن أخبركِ شيئًا لطالما ترددت فيه، لكن أعتقد بأنه من الجيد أن أخبركِ به.

روز بذهول: ماذا يجري؟ أخبريني، لقد انتابني قلق شديد.

مي: الأمر بخصوص أخي "بدر".

روز وقد أصابها الحرج والقلق في آن واحد: ماذا؟ هل أصابه مكروه؟

مي بصوت هادئ: لا، الأمر ليس كذلك، فقط إنه أمر خاص بكِ بعض الشيء.

روز بتعجب: خاص بي أنا؟ تُرى ما هذا الأمر الذي قد يربطني بأخيكِ؟

مي: أريدكِ أن تتفهمي الأمر دون أن يؤثر هذا على صداقتنا.

روز محاولةً استيعاب ما يحدث: ما الأمر يا "مي"؟ تحدثي بوضوح رجاءً.

مي: سأخبركِ الأمر بكل وضوح، وعليكِ القرار؛ لأنني قد تعبت من الأمر.

روز: هيَّا، لقد سئمت وتمكَّن القلق مني.

مي: إن أخي "بدر" يحبكِ، لا ليس حبًّا فحسب، فهو أشبه بالجنون، ذاك الحب الذي لا ينضب، بل يزداد حتى يملأه، لقد تمكنتِ من التسلل من بين ثنايا قلبه حتى انغمستِ في موضع غير مرئي منه، فلا هو بيده إبعادكِ ولا يستطيع البوح خشية أن يُصاب بصدمة تؤدي به وبقلبه إلى طريق لا تُحمَد عقباه.

صمتت "روز" تستمع لكلماتها بذهول تام ولمْ تستطِع الإجابة، لمْ تستطِع حتى التفوه ولو بكلمة واحدة، حتى أكملت مي قائلة: أنا أعرف أخي جيدًا، أعرف متى يحب، أنتِ لا تعلمين مكانتكِ عنده هو حتى يخشى عليكِ، لطالما خشيَ الاعتراف لكِ؛ حتى لا يتعلق قلبكِ به ثم يرحل، لم يرغب في التحدث إليكِ كما يفعل الكثير

من الشباب اليوم قبل أن يتأكد من محبته لكِ، ثم يتركك ويرحل تاركًا بداخلكِ نيران وبراكين وبغض للحب، لكِ بداخله كل حب وتقدير، لقد بلغتِ منه مجرى دمه حتى كاد قلبه يجن من فرط الهوى، يسأل نفسه كل ليلة متى يكون اللقاء بينكما ويفشي لكِ السر الذي يخفيه في صدره منذ أول يوم التقى بكِ فيه؟

روز بهدوء: هل هو مَن أرسلكِ لإخباري؟

مي: لا، لقد منعني من إخبارك مرارًا، لكنني أشفق على حاله.

روز: وماذا تريدين مني الآن؟

مي: أريد أن أعلم مكانته عندكِ.

روز: حتى تخبريه، أليس كذلك؟

مي: لقد تأكدت من حبه لكِ، والآن أريد أن أتأكد من منزلته عندكِ، ثم إن كان هناك قبول أخبره بذلك؛ كي يتقدم لخطبتكِ بدلًا من حيرته تلك.

روز: لا، لن أفعل هذا، إن كان يحبني حقًّا سيعلم كيف يصل لي.

مي: لكنه حاول التأكد من شعورك نحوه، وفي كل مرة يبوء بالفشل.

روز: ربما لأنه يتعامل معي كأي فتاة أخرى، عليكِ إخباره بأنني أختلف عن جُلِّ الفتيات التي مر بهن في حياته، إن فكر في هذا الأمر ربما يتمكن من الوصول إليَّ.

مي: أتعنين بأنه لا فائدة من المحاولة؟!

روز: يا عزيزتي، الحل بيده هو، إن كان يحبني حقًّا سيتمكن من الوصول إليَّ، الأمر ليس بهذا التعقيد، ثم إنه في اعتقادي أن هناك طرقًا كثيرةً لإثبات المحبة، وأثمنها

التقدم لخطبة المحبوبة قبل حتى أن تُبدي برأيها، الموافقة على الخِطبة حينها هو الدليل القاطع على محبتها أو إعجابها على الأقل، هذا هو رأيي في الأمر، أما الاعتراف مني بحبه أو بغضه لن يحدث سواء لكِ أو له في هذا الوقت.

مي: تقصدين أن يتقدم لخطبتكِ؟

روز: أعتقد أن المحب لا ينتظر توجهًا نحو هذا الأمر، فقط حين يدق قلبه يتعجل بدق باب محبوبته رغبةً منه في مشاركتها له ما تبقى له من العمر، وليس الانتظار والتأجيل يومًا بعد يوم حتى يأتي آخر ويخطفها منه منتزعًا إياها من بين ضلوعه والاستحواذ عليها تاركًا إياه كثمرة جوفاء، ثم يأتي بعدها يندب حظه بعد فوات الأوان.

مي: معكِ حق، أنا حتى لا أعرف لمَ لا يفعل هذا.

روز: ليس لديَّ فكرة، وينبغي ألَّا أشغل بالي به، ثم إنكِ تعلمين كم أكره هذا النوع!

مي: ماذا تقصدين؟

روز بانفعال: أقصد مَن يُفرط في أمر يحبه أيًّا كان هذا الأمر؛ حتى يضيع من بين يده.

مي: آمُل ألَّا يؤثر هذا على ما بيننا من صداقة أو محبة.

روز: لا تقلقي، فأنا أُجيد التمييز بين الأمور محاولةً ألَّا أخلط بينها.

مي: جيد جدًّا.

روز: يبدو أن المحاضرة قد بدأت، هيَّا بنا.

عادت كل منهما إلى مكانها حيث بدأت المحاضرة، مر الوقت وأعطت المحاضِرةُ عشر دقائق راحةً للطلاب، فبادرت "روز" بالتحدث إلى "عليّ"؛ لتخبره بأنها قد أوشكت على الانتهاء، فأخبرها بأنه سيرتدي ملابسه سريعًا وسيصل في غضون ساعة أو ربما أقل، وطلب منها أن تنتظره في مكان ما حتى يتمكن من رؤيتها سريعًا دون عناء في البحث.

انتهت المحاضرة، فأسرعت بالخروج دون الالتفات لأحد، خرجت وانتظرت في المكان المتفَق عليه، وبعد قليل وصل هو وتحركا إلى المطار لاستقبال أخيها، وفي الطريق كانت "روز" متلهفةً للوصول مشتاقةً لرؤية "سليم" الذي قضى أكثر من خمسة أعوام على آخر لقاء بينهما.

بمجرد وصولهما إلى المطار توجَّها إلى صالة الوصول منتظرين قدوم "سليم"، وحين رأته "روز" قادمًا من بعيد تركت "عليّ" وأسرعت وارتمت بين ذراعيه، وقد فاض الدمع على وجنتيها حتى بلغ الحناجر، قام "سليم" بمسح خديها وتقبيل جبينها مبتسمًا قائلًا: لقد اشتقتِ إليك شوقًا يمنعني من البعد عنكِ مجددًا.

روز بعد التقاط أنفاسها: مَن تلك الجميلات؟

سليم: هذه زوجتي "أسماء"، وهاتان فتاتاي: هذه "تقى" وتلك "ميار".

باردت "روز" باحتضان "أسماء" والترحيب بها وقبَّلت الصغيرتان، ثم التفتت إلى "سليم" قائلة: هذا هو "عليٌّ" ابن عمك.

علي بحماس: كيف حالك يا "سليم"؟ لقد اشتقت إليك كثيرًا يا أخي.

سليم: وأنا أيضًا يا "عليّ".

قالت روز مبتسمة: هيَّا بنا إلى المنزل؛ لأخذ قسط من الراحة، لا شك بأنهم مُتعبون من أثر السفر.

وضع "عليٌّ" الحقائب في السيارة وساعده "سليم"، ثم اتجه بهم إلى منزل "روز" حيث سيقضون الوقت هناك.

وصل الجميع إلى المنزل وطلب "سليم" من "عليٍّ" ألَّا يرحل إلَّا بعد تناول الطعام معهم، كانت "روز" قد أعدت بعض الطعام من قبل، فقامت بإيقاد النار عليه؛ كي لا يكون باردًا.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام استأذن "عليٌّ" بالرحيل، جلستْ "روز" مع "سليم" وعائلته الصغيرة اللطيفة، وهنا تحدَّث سليم قائلًا: كيف حالكِ يا عزيزتي؟ هلج كنتِ تقضين كل تلك الليالي وحدكِ في هذا المنزل دون أنيس؟

روز: نعم يا أخي.

سليم: آسف جدًّا يا عزيزتي؛ لأنني تركتكِ كل تلك السنوات، لكنني لم أستطِع السفر طوال الأعوام الماضية.

روز: لا بأس يا عزيزي، فأنا هنا أمامك لم يصِبني مكروه.

سليم: لكنني لن أسمح لكِ بالبقاء وحيدةً بعد اليوم.

روز: ماذا تقصد؟

سليم: أقصد بأنكِ ستأتين معنا.

هنا تدخلَّت زوجته أسماء قائلة: يا عزيزتي، لا يصح أبدًا بقاؤكِ هنا وحدكِ، نحن نخشى عليكِ.

روز: أتفهم هذا الأمر، لكن ماذا عن الجامعة؟

أسماء: هذا هو عام تخرُّجكِ ولم يتبقَّ سوى القليل حتى حفلة تخرجكِ؛ لذا لا يوجد عائق يمنعكِ من السفر معنا، ثم إنني سأكون لك أختًا وصديقة؛ لذا لا تقلقي، لن تكوني وحيدةً بعد اليوم.

روز: يسعدني سماع هذا.

سليم: هيَّا إلى النوم، لقد كان يومًا شاقًّا.

أسماء: سأحمل "تقى" إلى سريرها، ولتحمل أنت "ميار".

روز: لا، سأحملها أنا.

تم إطفاء الأنوار وذهب الجميع إلى النوم، في الصباح استيقظ الجميع في وقت متأخر من أثر التعب، قامت "أسماء" و "روز" بالمساعدة في إعداد الفطور وإطعام الطفلتين، وقضى الجميع يومًا رائعًا، يبدو أن "روز" قد أحبت تلك العائلة كثيرًا.

وذات مساء، أخبرها أخوها بأنه ينتظر الموافقة منها حتى يُرتب كل شيء متعلق بسفرها معه، فأخبرته بأنها ستنتهي من الامتحانات قريبًا، ثم ستفكر في الأمر.

مرت الأيام سريعًا، وبدأ تعلق "روز" بعائلتها يزداد يومًا بعد يوم، وفكرت في أمر السفر فوجدت أنه أفضل بكثير من البقاء هكذا وحيدة.

جاء آخر يوم وخرجت "روز" بعد انتهاء الامتحان، فوجدت "مي" تنتظرها بالخارج، وحين وقعت عينها على "روز" أمسكت بذراعها وجذبتها نحوها قائلة:

- أيُعقل أن يكون هذا هو آخر يوم أراكِ فيه؟ يكاد عقلي يُجن، لكن ما جعل قلبي يطمئن أنكِ هنا في نفس البلدة، وسيبقى بإمكاننا زيارة بعضنا.

روز -وقد بدا عليها بعض حزن الفراق- قائلة: اهدئي يا "مي"، فأنا أريد التحدث معكِ.

مي -وقد أصابها بعض القلق من نبرة صوتها-: ماذا حدث؟ هل أنتِ بخير؟

روز: نعم، بأحسن حال، أريد فقط إخبارك بأننا لم نعد بنفس البلدة.

مي: ماذا تقصدين؟

روز بنبرة حزن: سأسافر مع أخي بعد حفلة التخرج بيومين.

مي: هل تمزحين؟

روز: لا، هذا أمر جِدّي.

مي: وماذا عن...؟

روز: مَنْ؟ ماذا عن منْ؟ ذاك الذي لم يبُح لي ولو بكلمة، منْ ظل ينتظر إلى أن انتهى وقت الانتظار، وها أنا الآن أضيع من بين يده، أتعلمين؟ ربما كان بإمكاني أن أحبه فقط إن كان قد سلك خطوةً جديةً تثبت لي محبته تلك، إن استغل فترة وجود أخي وطلب يدي كما فعل أحدهم، أما الآن فأنا لا أريده؛ لأنه أثبت لي أنه لا يوجد لديه ذرة محبة تجاهي.

مي: هل معنى هذا أنكِ كنتِ تفكرين به؟!

روز بعصبية -وقد علا صوتها بعض الشيء-: أجل، هل هدأتِ؟ لكن ما الفائدة؟ كل هذا بلا جدوى، والآن عليَّ الذهاب، لنلتقِ في حفلة التخرج، وهذا آخر موعد لقاء بيننا مع الأسف ومن الأفضل ألا أراه هناك.

تركتها "روز" وعادت إلى بيتها، وقد أخبرت أخاها بالموافقة على السفر معه، في تلك الفترة بدأ "سليم" يُعِد للتجهيزات اللازمة للسفر، وقامت "أسماء" ومعها "روز" بالتسوق تارة والاستعداد لحضور حفل التخرج تارة أخرى.

وعلى الصعيد الآخر بعد أن علِم "بدر" بما حدث واعترفت له أخته بكل شيء كان هو الآخر يُعِد مفاجأةً ستسرق قلب "روز"، وتحلق بها في الآفاق عاليًا.

جاء موعد الحفل، ارتدت "روز" ملابسها الأنيقة وبدت في أبهى صورها، ساعدتها "أسماء" في كل شيء، جاءت لحظة التصوير لتوثيق ذكرى التخرج تلك، التي هي بمثابة هدف للكثير منَّا، وقفت "روز" ليتم التقاط صورة لها، وكانت المفاجأة حين رأت "بدر" يظهر فجأة، شعرت وكأنها تقف على المسرح وظهور "بدر" بمثابة خروجه فجأة من خلف الكواليس، فلقد ظهر على حين غفلة وهو يحمل بيده علبةً حمراء صغيرة، وفي اليد الأخرى باقة من أجمل الزهور، فسُرعان ما أصابها الذهول حتى تجمدت مكانها لا تعلم ماذا يحدث!

بدر -بابتسامة ونظرة لطيفة على غير عادته-: هل تقبلين الزواج مني؟

نظرت "روز" إلى أخيها وكأنها تطلب تدخُّله في الأمر، فقال: لقد طلب "بدر" يدكِ مني، وقصَّ لي ما حدث من يوم رؤيتكِ، يبدو أنه يحبكِ للغاية، ولقد وافقت، الأمر بيدكِ الآن.

بدر: لم ينبض قلبي سوى لكِ وبحضرتكِ، فهل تسمح حضرتكِ أن تكوني لي؟

روز: دَعني أفكر في الأمر.

بدر: أنتِ لي وحدي لو تعلمين.

روز: ربما ليس الأمر كذلك.

بدر: لقد رآكِ قلبي صدفةً وتعلق بكِ منذ المرة الأولى رغم ما كنتِ به من ألم وحزم، رغم صمتكِ الذي ربما يكرهه البعض إلا أنني أحببته لأجلكِ، رأيتكِ بقلبي وليس بعيني كما أرى الجميع، الجميع عبَرَ بجانبي ووحدكِ عبرتِ بداخلي وتركتِ أثرًا رغم فقر اللقاء وقلة الحديث، لم أرغب في التحدث إليكِ من خلف الأسوار، حافظت على قلبكِ حتى النهاية؛ لذا أخبركِ بها أمام الجميع الآن بأنني أحبكِ.

روز: لكن...

بدر: اسمعي، اعلمي أنني انتظرتكِ كثيرًا حتى أخبركِ، لكنها محبة، والله يشهد على مكانتكِ بقلبي، إن لم تقولي "نعم" سأقتلكِ أمام الجميع.

روز: نعم؟!

بدر مازحًا: قالت نعم، هيَّا إلى عقد القران، لا وقت لدينا.

صفق الجميع بحرارة، وأطلقت الفتيات أصوات دالة على الفرح (زغرودة)، وبدأ اليوم بحفل التخرج وانتهى بحفل أيضًا، وكان اليوم الأفضل على الإطلاق، ربما كان ذلك هو استجابة لدعوات كانت تطلقها "روز" في جوف الليل، وهي تدعو الله برفيق وزوج صالح يعوّضها وحدتها، مَن يدري؟ ربما كان هذا هو العوض من الله على صبرها.

"تظل ترفض الحب والارتباط من كل جانب حتى تصطدم بالنصيب؛ فتقع به".

وداعًا للعزوبية يا عزيزتي، ومرحبًا بكِ في سجن قلبي الذي لا يقهر"!

النهاية.

للتواصل مع الكاتبة

زهراء علي

تنسيق وتوزيع

أحمد كِشك

01062359462